طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
لائحة القومي العربي

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

طلقة تنوير 57: نقد نقاد العروبة

فنزويلا والقضية الفلسطينية.. بين الثورة البوليفارية وما قبلها

السيد شبل

اختار هوجو شافيز بعد وصوله للحكم منتخباً في 1998، إعلان ثورته البوليفارية والاستقلال عن منظومة الهيمنة الأمريكية والسعي نحو السيطرة على اقتصاد بلاده وإعادة توزيع عوائد النفط لصالح الفقراء ومحدودي الدخل، فكان الصدام طبيعياً مع السياسة الخارجية الأمريكية، وبالتالي مع الكيان الصهيوني (شريك واشنطن، والمرتبط عضوياً بالمصالح الإمبريالية).

كذلك عزز شافيز علاقاته مع الأنظمة التي يمكن أن تشاركه مسار المقاومة للأمريكي، وكان من بينها النظام الإيراني والعربي السوري والعربي الليبي، بالإضافة لتعزيزه العلاقة مع العراق العربي وقت الحصار، وإذا أضفنا ذلك لمبادئ الثورة البوليفارية المؤيدة لنضال الشعوب ضد الاحتلال، والرافضة للعدوان، فقد كان هذا منطقياً أن يدفع فنزويلا بعيداً عن الكيان. وحتى لو لم يصل الأمر لسحب الاعتراف الموروث بـ"دولة إسرائيل"، فإنه وصل لقطع العلاقات، ودعم المقاومة، ورفض أي عدوان صهيوني على الأرض العربية، والمطالبة بتحرير الجولان.. وقد تطور الصدام إلى حد تورّط الموساد في أنشطة تآمرية وتخريبية داخل فنزويلا أعلن عنها تشافيز صراحةً، ولا شك في أنها أنشطة مستمرة إلى اليوم ضد نيكولاس مادورو، وقد أيّدت حكومة الاحتلال المحاولة الانقلابية الأمريكية الأخيرة في 23 يناير/ كانون الثاني 2019، واعتبرت بطلها "خوان غوايدو" –الذي لم ينتخبه أحد– رئيساً..!!.

في الفقرات التالية سنشير إلى كثير من (وليس كل) مواقف شافيز ومادورو المعارضة للكيان، وسنعرض في الخاتمة بعض مواقف فنزويلا قبل الثورة البوليفارية ليتبين الدور الذي لعبه تشافيز وثورته.

- أثناء حرب لبنان 2006، أدان شافيز العدوان الصهيوني، وذكرت تقارير صحفية حينها أنه كان أول رئيس دولة في العالم يدين علانيةً هذا العدوان، وفي 3 أغسطس/ آب 2006، أمر تشافيز القائم بالأعمال الفنزويلية في "إسرائيل" بالعودة إلى كاراكاس، واتهم قادة الكيان بأنهم مجانين وإرهابيون، يقومون بحرق لبنان وفلسطين، وفي 25 من الشهر ذاته دعا شافيز إلى محاكمة قادة الكيان بتهمة الإبادة الجماعية، وفي حديثه من بكين، قال أن "الدولة اليهودية فعلت شيئاً مماثلاً، أو ربما أسوأ مما فعله النازيون".

طلقة تنوير 57: نقد نقاد العروبة

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي... عدد 1 شباط 2019

- فنزويلا والقضية الفلسطينية.. بين الثورة البوليفارية وما قبلها/ السيد شبل
- إثمُ العروبة، أم آثامٌ بحقها؟/ إبراهيم علوش
- الواقع العربي بين منهجية التقدم وتلقائية التطور/ بشار شخاترة
- الجماعات المتخيلة: النزعات الانفصالية للأمازيغ والآراميين/ فارس سعادة
- معارك على الجبهة الإعلامية.. من يتصدى لها؟/ كريمة الروبي
- منبر حر: الحداثة والتنوير/ توفيق شومر
- الصفحة الثقافية: الحرب على سورية وسقوط الشخصيات العامة/ طالب جميل
- قصيدة العدد: مفاتيح المستقبل/ محمد مهدي الجواهري
- كاريكاتور العدد

لمتابعتنا انظر:

لمتابعتنا على فيسبوك، ابحث عن:
لائحة القومي العربي/ الصفحة الرسمية

روابط صديقة:
موقع الصوت العربي الحر
www.freearabvoice.org

راسلنا على:
arab.nationalist.moderator@gmail.com

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

أثناء زيارته لسورية في 2006 أدان تشافيز الاحتلال الصهيوني للجولان، ودعا لردّها إلى سورية.

- واصل تشافيز اتهامه للولايات المتحدة بحماية الكيان الصهيوني في المحافل الدولية، وبمنعها إصدار أي قرار يدينه.

- وفي عام 2008، أثناء خلاف فنزويلا مع كولومبيا، قال شافيز إن "الحكومة الكولومبية أصبحت إسرائيل أمريكا اللاتينية"، باعتبارها وكيل المصالح الأمريكية في أمريكا الجنوبية، كما "إسرائيل" في الوطن العربي والمنطقة.

- وفي عام 2009 قطع تشافيز العلاقات الدبلوماسية مع الكيان، وطرد السفير الصهيوني وموظفيه، وذلك رداً على حرب غزة 2008-2009 التي خلفت نحو 1200 شهيداً فلسطينياً وأكثر من 5000 جريح، وردت حكومة الاحتلال بالمثل. واختارت "إسرائيل" كندا لرعاية مصالحها في فنزويلا (لاحظ دور كندا حتى اليوم في التآمر على فنزويلا، مباشرةً أو عبر قيادتها لمجموعة ليما).

- وفي أبريل/ نيسان 2009، اعترفت فنزويلا رسمياً بدولة فلسطين، وكررت في سبتمبر/ أيلول إدانتها لجيش الاحتلال، متهمةً إياه بارتكاب إبادة جماعية.

- وفي يونيو 2010 ، قال هوجو تشافيز إن "إسرائيل" تموّل المعارضة الفنزويلية، وإن هناك مجموعات من الإرهابيين، تتبع للموساد الصهيوني، وتحاول قتله.

وقد تعرض تشافيز كما خليفته مادورو للعديد من محاولات الاغتيال وقفت خلفها واشنطن وعملاؤها (وعندما أصيب تشافيز بمرض السرطان الذي أدّى لاحقاً لوفاته توجهت الأصابع للموساد، متهمة إياه بالوقوف خلف مرضه).

ثم قال شافيز: "ملعونة، دولة إسرائيل! ملعونة ملعونة، إنهم إرهابيون وقتلة"!

- وفي 27 يونيو/ حزيران 2010 خلال زيارة قام بها الرئيس العربي السوري بشار الأسد إلى فنزويلا ، قال شافيز: "إسرائيل هي ذراع قاتل لصالح الإمبريالية الأمريكية.. وفي يوم من الأيام ستوضع في مكانها".

- لا تزال العلاقة بين الكيان وفنزويلا مقطوعة حتى اليوم..

- وفي صيف 2014 أدان نيكولاس مادورو، خليفة تشافيز، القصف الصهيوني على غزة، وقال إنها ليست حرباً دينية، وإن فنزويلا تحترم كل الديانات واليهودية، وإن هذه حرب تشنها القوى العسكرية الرأسمالية العالمية للاستيلاء على أرض فلسطين وغزة، وأن قادة الكيان يقتلون أهل غزة مسلميها ومسيحييها، ودعا الأنظمة العربية للتحرك لنصرة فلسطين، والتحلي بالكرامة، والتوقف عن التردد والخوف، وقال: "متى سترفعون صوت الكرامة دفاعاً عن فلسطين؟!".

- وفي نوفمبر/ تشرين الثاني 2014، وخلال استقبال طلاب فلسطينيين في منحة دراسية بفنزويلا، ارتدى نيكولاس مادورو الكوفية الفلسطينية، وهتف: "فلسطين واصلي.. فلسطين قاومي".

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

وفي فبراير/ شباط 2018، مجّد مادورو نضالات الشعب العربي الفلسطيني وصموده، كما عبر عن دعم بلاده اللامشروط لمساعي الفلسطينيين في مواجهة قرار دونالد ترامب بنقل السفارة الأمريكية للقدس، مؤكداً على اعتراف فنزويلا بالقدس كعاصمة أبدية لدولة فلسطين، وأن سياسات ترامب العنصرية والمنحازة للمحتل لن تغيِّر من الوضع القانوني للمدينة المقدسة.

- ورغم ما قيل عن نوايا لاستعادة العلاقة بين فنزويلا والكيان الصهيوني في 2017، بوساطة من الجالية اليهودية في فنزويلا.. إلا أن العلاقة لا تزال مقطوعة بين كاراكاس البوليفارية و"تل أبيب" حتى اليوم، والخصومة بين الطرفين متحققة، وستتعزز وتتصاعد خاصة في ظل اصطفاف العدو الصهيوني خلف نهج واشنطن الداعم للمعارضة الفنزويلية، حيث أيّد بنيامين نتنياهو رئيس حكومة الاحتلال المحاولة الانقلابية الأخيرة بقيادة (خوان غوايدو وتحالف "المائدة المستديرة للوحدة الديمقراطية")، وقد ردّ "غوايدو" على هذا التأييد بالشكر والترحيب والمغازلة، كذلك هناك أخبار عن مساهمة عمليّة للكيان بالتعاون مع السي آي إيه والعناصر الأمريكية في إشعال الأجواء بداخل فنزويلا، والسعي لإفشال نظام مادورو.

****

قبل 1998 ووصول هوجو تشافيز للسلطة وإعلانه الثورة البوليفارية.. كانت فنزويلا قريبة من الكيان، بحكم القرب من الولايات المتحدة، حيث صوتت لصالح قرار التقسيم في 1947، وجمعتها علاقات دبلوماسية طبيعية لاحقاً بالكيان الصهيوني، وعندما وقعت حرب 1967 سمحت الحكومة لليهود الفنزويليين بالسفر والقتال لصالح جيش الاحتلال الصهيوني، كذلك حين صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 10 نوفمبر/ تشرين الثاني 1975، بدعم من الكتلة السوفيتية والدول العربية والإسلامية، لصالح اعتبار (الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري) في قرار 3379، امتنعت فنزويلا عن المشاركة في دعم القرار (ملاحظة: تم إسقاط قرار 3379 بقرار 46/86 في 16 ديسمبر/ كانون أول 1991، بضغط من جورج بوش الأب، وبتأييد من فنزويلا ما قبل تشافيز)، وفي يناير/ كانون الثاني 1995 زار وزير الخارجية الصهيوني شيمون بيريز فنزويلا، خلال إدارة «رافائيل كالديرا» الثانية، لتوطيد العلاقات، وتعميق التعاون في المجالات ذات المنفعة المتبادلة، واعتُبرت من جانب الخارجية الفنزويلية حينها زيارة غير مسبوقة.

فأين على العربي الذي يبحث عن دعم قضيته المركزية «فلسطين» أن يقف؟!

إثمُ العروبة، أم آثامٌ بحقها؟

إبراهيم علوش

خلال العدوان الصهيوني على لبنان عام 1982، كان البعض يصرخ: "أين العرب؟"، أو يطلق ألفاظاً نابية بحق العرب أو العروبة، لا سيما بعد غارات طائرات الأف16- الصهيونية على الأحياء المدنية. ولعل ذلك الجهر بالسوء من القول كان موجهاً إلى "الحكام العرب"، أو "الأنظمة العربية"، ومثل ذلك، ممن ظُلم، يمكن تفهمه بالنظر لموقف النظام الرسمي العربي المتواطئ مع العدوان الصهيوني على لبنان وارتباطه المباشر بمقررات قمة فاس عام 1981، بعد رفض سورية والعراق وليبيا والجزائر والقوى والأحزاب الوطنية والقومية في فلسطين والوطن العربي لمبادرة "سلام وتطبيع" مع العدو الصهيوني سميت وقتها بـ"مبادرة الأمير فهد" لعام 1981، لتتم إعادة فرض تلك "المبادرة" عربياً بعد الاجتياح الصهيوني للبنان عام 82، في قمة فاس الثانية، في 6 أيلول من عام الاجتياح.

لكن البعض الآخر من ذلك الكلام النابي كان يتناول العرب كعرب، كأمة، وكهوية، لا كأنظمة وحكام، وكان ذلك رأس جبل الجليد الذي اعتلى الموقف السلبي لكثيرين في لبنان وفي الساحة الفلسطينية من العروبة والتيارات القومية العروبية، فأعطى بتمدده حيزاً لدعوات التركيز على الذات القُطرية والشأن المحلي الراهن، بدلاً من البحث "الخيالي" عن وحدة عربية بات البعض يراها ضرباً من الكماليات، إذا أحسن الظن فيها، ولا تزال مقولة "تخلي العرب عن المقاومة الفلسطينية في لبنان" تساق حتى اليوم كذريعةٍ لتبرير توقيع اتفاقية أوسلو مع العدو الصهيوني.

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

كان خروج مصر من حلبة الصراع العربي-الصهيوني بعد كامب ديفيد أحد أهم العوامل التي سمحت للكيان الصهيوني أن يشن عدوانه على لبنان عام 1982، وكان خروجها من حلبة الصراع قد تمت التهيئة له بسنوات من الضخ الإعلامي والفكري الداعي للتركيز على الذات "الفرعونية"، والزعم إن مصر تحملت عن الأمة العربية عبء مواجهة تُركت فيها شبه وحيدة لتدفع الثمن من لقمة عيشها ودماء شبابها، وترافق ذلك مع مشروع "وهبنة مصر" (أي تحويلها إلى الوهابية) بالتعاون مع السعودية في مسعى لاستئصال روح جمال عبدالناصر وثورة 23 يوليو منها، وما كان من الممكن أن يمضي نظام أنور السادات على درب التسوية مع العدو الصهيوني من دون تكريس فكرة التركيز على الذات القطرية، وتضخيمها على حساب الهوية القومية، وترويج فكرة "تحمل عبء العروبة من غير طائل"، ولازمتها الضرورية دوماً: "تخلي العرب عن مصر" في مسعى لدفعها للتخلي عن العروبة، وفي مسعى لتكريس فكرة "إثم العروبة" في الشارع المصري.

هكذا راحت تتواتر في التاريخ العربي المعاصر معزوفة "تأثيم العروبة" في كل قُطر عربي تعرض لأزمة أو حصار، أو حتى من دون تعرضه لهما، وحين لم يكن الرئيس أو الحزب الحاكم في ذلك القطر مستعداً للسير في ركاب الساعين للانسلاخ عن العروبة، فإنه سرعان ما يصبح متهماً بأنه جزءٌ من "إثم العروبة" في ذلك القُطر، وقد شهدنا ردة من قِبل بعض العراقيين على العروبة بعد العدوان الثلاثيني على العراق عام 1991، وبعد حصارٍ قاسٍ دام 13 عاماً شاركت فيه بلدانٌ عربيةٌ وإسلاميةٌ للأسف، وتعمقت تلك المشاعر حدةً بعد غزو العراق وتدميره عام 2003 بمشاركة بلدان عربية خليجية، وقد كانت أحد أهم "منجزات" الاحتلال الأمريكي للعراق دستور نوح فيلدمان الذي يشطب هوية العراق العربية، والذي يعتبر بعض العراقيين فحسب (لا العراق ذاته) جزءاً من الأمة العربية، وقد كشف الاحتلال الأمريكي بذلك عن واحدٍ من أهم عناوين استهدافه للعراق: السعي لنزع عروبته.

سنوات الحصار الجوي والاقتصادي على ليبيا (1992-2003) قدمت مثالاً آخر على مسعى "تأثيم العروبة" والتخلص من "عبئها"، ولم يتم رفع الحصار حتى أعلنت ليبيا عن تحولها إلى "الهوية الإفريقية"، من بين أشياء أخرى، وحتى هذا لم يشفع لليبيا، فحيثما وجد إرثٌ وطنيٌ استقلاليٌ مناهضٌ للاستعمار والإمبريالية في هذا العالم، فإن منظومة الهيمنة الإمبريالية لا تكل ولا تمل في سعيها لتقويضه بالاختراق والإخضاع والحروب، وتسليم "أسلحة الدمار الشامل" لا يكفي... أما عندما يكون هناك، بالإضافة إلى ذلك، إرثٌ قوميٌ عربيٌ مناهضٌ للصهيونية في بلدٍ من البلدان، فهي أيضاً حربُ اجتثاثِ الهويةِ العربيةِ بلا هوادة، وصولاً حتى لاقتلاع تمثال جمال عبدالناصر وتحطيمه في بنغازي على يد جرذان فبراير عام 2012... في الذكرى الأولى لـ"ثورة فبراير". فالثورات المضادة في أقطارنا العربية لا تكتمل إلا عندما تكرس في الشارع مقولة "إثم العروبة".

من الجزائر خلال سنوات العشرية السوداء وما بعدها، إلى سورية خلال سنوات الحرب الكونية عليها، وفي معظم بقاع الوطن العربي التي عانت من آفة الإرهاب، راحت تُنفَثُ في فضاءات الكلام والأقلام مقولاتٌ كالسم البطيء تربط ظاهرة الإرهاب التكفيري بالجزيرة العربية، بالصحراء، ومن ثم بالعروبة، لنصل بعدها إلى مقولة أن "العروبة غزوٌ همجيٌ جاء مع الإسلام قبل 1400 عام"! لتصبح تلك الضلالةُ بعدها ذريعةً لإحياء تيارات أمازيغية أو آرامية تعمل على سلخ المغرب العربي أو بلاد الشام عن العروبة. أما ربط الإرهاب التكفيري بالداعمين والممولين الإمبرياليين والصهاينة، وبمشاريع التفكيك والهيمنة، وانحسار المد القومي العروبي، فـ"نظرية مؤامرة" طبعاً!

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

كذلك يُشن العدوان السعودي على اليمن، مهد العروبة، تحت عنوان "التحالف العربي"، في مسعىً لدفع اليمنيين بالنار لتمثل مقولة "إثم العروبة". ويُصور الصراع في وسائل الإعلام السائدة بكل شكلٍ تضليلي ممكن: طائفياً (بين السنة والزيديين)، جهوياً (مع أقاليم ذات نزعات انفصالية)، أو إقليمياً (ضد إيران)... إلا كعدوان غاشمٍ من قبل أنظمة عربية تابعة للإمبريالية على شعبٍ وبلدٍ عربيٍ أصيلٍ كان تاريخياً عنواناً للحضارات العربية القديمة، فإن ذلك قلما تسمعه. فما يسمى "التحالف العربي" لا يمت للعروبة بصلة، وما هو إلا تحالفٌ إمبريالي-صهيوني-رجعيٌ عربي ضد اليمن العربي، لكن أهمية مثل هذه النقطة في تفويت أحد أهم أهداف العدوان على اليمن لا تلتقطها الكثير من وسائل إعلام المقاومة للأسف، لأن السماح بتسرب موقفٍ معادٍ للعروبة والهوية العربية حتى لدى أقلية قليلة من اليمنيين الذين يتعرضون للقصف والحصار والتجويع يسهم أيضاً بإعطاء مشروعية زائفة لعدوان "التحالف العربي" بأثر رجعي...

غزة وحصارها لا يشذان عن القاعدة، ولا العدوان الصهيوني المتكرر عليها، ففي كل مرة تسمع من يحاول أن ينفث في ثنايا الحوار فكرة "إثم العروبة"، و"خطيئة العرب"، و"تخلي العرب عن غزة"، من دون التمييز من جهة بين منظومة التجزئة ومعادلاتها وأنظمتها التي أسهمت بحصار غزة (مثل الخطوط الوهمية المرسومة في الرمال بين أقطار الأمة، ومنها الخط الوهمي بين غزة ومصر، ولا نقول بين غزة وسيناء، لكي لا ننجر إلى مشاريع التوطين، ومثل محاولة تأسيس دويلة قُطرية أخرى في غزة)، وبين العروبة كهوية وانتماء من جهةٍ أخرى، فمن المستفيد من التخلي عن عروبة أي جزء من فلسطين، غزة أو غيرها، إلا المعنيون بتهويد فلسطين؟! ومن المستفيد من التركيز على كل بُعد في المقاومة الفلسطينية، في غزة أو غيرها، إلا بُعد دفاعها عن عروبة أرض فلسطين؟!

وفي كل قُطر عربي تقريباً تجد شخصياتٍ وتياراتٍ عاكفةً على توظيف ما تقع أيديها عليه من فكر وعقائد ضد العروبة، فهذا إسلامي يرى العروبة "ابتعاداً عن دين الله"، وذاك يساري أو ليبرالي يراها "شوفينية وعنصرية"، وهذا سياسي "واقعي" يروج أن التوجهات العروبية لدى الحكام هي "سبب مآسي العراق وسورية ومصر عبدالناصر وليبيا والجزائر"، ويترجم ذلك كله إلى حالة نرجسية من التعالي الأجوف على العروبة والعروبيين، أضف إلى ذلك التيارات والشخصيات التي تتظاهر بالعمل على "تجديد" الفكر القومي العروبي و"تخليصه من اللغة الخشبية والقوالب الجامدة"، لا سيما تحت عناوين "الديموقراطية" و"الحرية"، لتوصلك في حركة التفافية مبهمة إلى التحالف مع الإمبريالية الأمريكية والتصالح مع العدو الصهيوني تحت عنوان "الإصلاح الداخلي"، "الربيع العربي" نموذجاً. وهؤلاء هم الأسوأ، لأنهم أحصنة خشبية طروادية تسعى لتدمير الفكر القومي العروبي من داخله، فالنهج القومي العروبي لا يمكن إلا أن يكون مقاوِماً أو أنه ليس عروبياً.

باختصار، ثمة حملة شرسة ومستمرة على الهوية العربية، وعلى التوجهات القومية العروبية، ما يعنينا منها هنا هو محاولة إيصال الشعب العربي، أو قطاعات رئيسية منه، إلى ربط الهزائم والمعاناة والفقر والحصار والاحتلال والتقصير والتقاعس والتخلف والتكفير والإرهاب وكل ما هو حقير في حياتنا العربية المعاصرة... بالانتماء للعروبة!

مثالان على توظيف الشعر والفن ضد العروبة:

كثيراً ما يتم توظيف القصائد والأغاني المعروفة في تسويق مثل هذه الفكرة التي تتغذى على الهزيمة والإحباط، والأمثلة كثيرة. فلنأخذ مثلاً قصيدة نزار قباني الشهيرة:

أنا يا صديقةُ متعبٌ بعروبتي
فهل العروبةُ لعنةٌ وعقابُ؟!

...

فإنك كثيراً ما تراها على وسائل التواصل الاجتماعي في سياقات تصب في تبخيس العروبة والسعي للتملص من الانتماء إليها، وإذا كانت تلك القصيدة تعكس حالة الهزيمة التي انتابت المشهد العربي بعد اتفاقيات كامب ديفيد وتراجع المد القومي، فإن ما فيها من رثاء وتفجع على حالة العروبة لا يخلو من عتابٍ لها، ودعوة لها للنهوض، وهو مقطعٌ في تلك القصيدة قلما ترى من يقتطفه:

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

فتحملي غضبي الجميلَ فربما
ثارت على أمر السماء هضابُ
فإذا صرختُ بوجهِ مَن أحببتهم
فلكِ يعيشُ الحبُ والأحبابُ
وإذا قسوتُ على العروبةِ مرةً
فلقد تضيقُ بكحلها الأهدابُ
فلربما تجد العروبةُ نفسَها
ويضيء في قلبِ الظلامِ شهابُ

كذلك كثيراً تسمع هتافاً في الاعتصامات والمسيرات المنددة بهذا العدوان أو تلك المجزرة الصهيونية أو الأمريكية من مطلع كلمات أغنية الفنانة الملتزمة جوليا بطرس (من كلمات الشاعر علي الكيلاني):

وين وين وين
وين الملايين
الشعب العربي وين
الغضب العربي وين
الدم العربي وين
الشرف العربي وين
وين الملايين؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

ليتحول الهتاف إلى إدانة للشعب العربي بأكمله، وللعروبة ذاتها، حتى أن البعض يرد، عندما يبدأ هتاف "الشعب العربي وين؟"، بكلمة "نايم!"، والرد على "الشرف العربي وين؟"، كثيراً ما يكون بكلمة "مات"، وهو ما يمثل سقطة في المحظور بالنسبة لأي مناضل، فإن لم تكن تعوّل على الشعب والأمة في تحقيق الأهداف الوطنية أو القومية الكبرى، فعلى من تعول يا ترى؟ على الأعداء؟! أم على الحلفاء الذين يفترض بهم أن يأتوا للقتال بالنيابة عنا الآن فيما نحن هاهنا قاعدون، بما أن الشعب العربي "نائم"، والشرف العربي "ميت"، والملايين ألهاها التكاثر، إلخ...، ولنبدأ من ثم بشتم الحلفاء إن لم يأتوا للقتال بالنيابة عنا؟!!

ومع أن المقاطع التي تلي في أغنية "وين الملايين" تصب كلها في خانة استنهاض الناس للثورة على الصهيونية وللمقاومة والكفاح المسلح، أي خانة استفزاز هممهم ومروءتهم للتحرك، وهو بالتأكيد الهدف النبيل منها، فإن تكرار تعبير "اخوتي وين؟" فيها، أكثر من مرة، يرسل رسالة ملتبسة أيضاً... فهل المقصود هنا هو أن المقاومين يخاطبون شعبهم بأنه غائب ولا يفعل شيئاً، وهي رسالة ملتبسة، وغير دقيقة إذا أخذنا بعين الاعتبار الظروف الصعبة التي يعيشها في ظلها الشعب العربي الفلسطيني في غزة أو في غيرها وصموده في أرضه بالرغم منها؟ أم المقصود هو أن الفلسطينيين هم الذين يثورون ضد الصهاينة وحدهم فيما أخوتهم العرب لا يفعلون شيئاً، لا سيما أن الكلمات مكتوبة باللهجة الفلسطينية، مما يكرس الرسالة ذاتها المتعلقة بـ"إثم العروبة"، ولو عن غير قصد؟ وماذا عن الأخوة في المقاومة اللبنانية مثلاً، وعن عشرات آلاف الشهداء العرب في الحروب العربية-الصهيونية؟ وماذا عمن يتعرض للحصار والدمار لأنه شكل حاضنة للمقاومات العربية، في لبنان وفلسطين والعراق، كما يحدث مع سورية اليوم، وكما حدث مع ليبيا والعراق من قبلُ؟ بجميع الأحوال، تسمح مثل هذه الثغرة، ولو عن حسن نية، بتوظيفها في الشارع ضد الهوية العربية والانتماء للعروبة، خصوصاً بعد اقتطاعها خارج سياقها.

إثم العروبة، أم آثام بحقها؟

تولّد الهزيمةُ الشعورَ بالإحباط والانسحاق، ويولد التراجعُ العامُ الشكَ بكل ما يحيط بالمهزوم، هويته وقناعاته ومبادئه وقيمه ولغته وكيانه ووجوده، وهي مسألة سبق أن تناولها ابن خلدون قبل قرونٍ عدة في حديثه عن تشبه المغلوب بالغالب، كما تناولتها أدبيات لاهوت التحرير (باولو فراري في البرازيل/ علم تربية المضطهدين) وأدبيات سيكولوجية

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

المضطهدين (فرانتز فانون/ المعذبون في الأرض، ومصطفى حجازي/ التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور)، وهي أدبيات سبق أن راجعنا بعضها في أعداد مختلفة من مجلة "طلقة تنوير" (انظر مثلاً العددين 29، و36) .

لكنْ ثمة قانونٌ فولاذيٌ لا ينثني في حياة الشعوب والأمم، وهو أن الهزيمة لا تتحقق بالانكسار العسكري وحده، فالأمة المغلوبة لا تُهزم ما دامت متمسكة بهويتها ولغتها وأهدافها القومية الكبرى، وما دامت مصرة على المقاومة والصمود ريثما يأتي يومٌ أفضل قد تنتصر فيه، وما دامت طلائعها تنتج جيلاً بعد جيل من المناضلين والقادة الثابتين على المبدأ والمثقفين والفنانين والشعراء الذين يضيئون للأمة شعلة الأمل والوعي في عتمة اللحظات التاريخية الصعبة، وما دام هؤلاء موجودين، فإن الهزيمة العسكرية لا تتحول إلى هزيمة سياسية يتم الاعتراف فيها بنصر العدو، فحرب الـ67 مثلاً كانت هزيمة، ولكن لاءات قمة الخرطوم بعدها: لا صلح، لا تفاوض، لا اعتراف، منعت الهزيمة العسكرية من التحول إلى هزيمة سياسية، ثم جاءت حرب الاستنزاف التي قضى فيها، وانتبهوا للرقم، أكثر من 1500 صهيوني، لتؤكد على خيار الأمة العربية بمواصلة القتال.

أما مع توقيع معاهدات كامب ديفيد وأوسلو ووادي عربة، وفتح مسارات التطبيع مع العدو الصهيوني، فإن الهزيمة العسكرية تكون قد تحولت إلى هزيمة سياسية، للمنظومة الرسمية العربية على الأقل، منظومة التجزئة، وليس لمن قرروا أن لا ينخرطوا في مسار التطبيع والمعاهدات وأن يستمروا بالمقاومة أو أن يحتضنوها، وهم فعلياً من يحصّنون الأمة العربية سياسياً من الاستسلام للهزيمة، فالمقاومة، بكل أشكالها، هي جدار الدفاع الأخير للأمن القومي العربي.

العدو الصهيوني والإمبريالية العالمية قررا الآن، بعد مرحلة المعاهدات والتطبيع الرسمي العربي، أن الوقت حان للتطبيع الشعبي، ولذلك فإن تمدد مشروع الهيمنة والاحتلال بات يتطلب شق عرى العروبة ذاتها، كهوية وكانتماء، وهو شرط ضروري لتفكيك الوطن العربي، ولتحويله إلى عشرات الدويلات والإمارات والإقطاعيات الدائرة في فلك الهيمنة والاحتلال، ولهذا انتقل أعداؤنا إلى مرحلة الاختراق الثقافي، لا الأمني والسياسي فحسب، فبات مطلوبا تدمير الحالات النضالية، وإنتاج وعي مزيف ينبجس من روافدَ مختلفةٍ ليصبَ في خانة السعي لتدمير الهوية العربية، أي ليصب في خانة "تأثيم العروبة" وتبخيسها والتنصل من روابطها، وصولاً إلى التخلي عن اللغة العربية ذاتها.

من الواضح أن هناك من يهاجمون العروبة بغرض استفزاز حميتها ودفع أبناء الأمة للتحرك دفاعاً عن الشرف الوطني والقومي، ولكن هناك من يهاجمها بداعي الإحباط، وهناك من يهاجمها لأنه تقمص رؤية المستعمر الاستشراقية لوطننا العربي فبات يربط كل ما هو سلبي ومتخلف بالعروبة، وكل ما هو متقدم وإيجابي بما هو خارج العروبة، ولو كان ما هو غير عربي شرقياً أو إسلامياً، ولكن غير عربي!

هذا النوع الثاني هو من يعيش حالة استلاب وغربة عن ذاته القومية، ومن يهاجم العروبة انطلاقاً من انتمائه لدوائر ضيقة طائفية أو جهوية أو عِرقية يصب في المجرى ذاته، ويؤدي الغرض ذاته، وكذلك من يهاجمها انطلاقاً من الذات القُطرية التي رسم حدودها الاستعمار، فالعروبة هي هوية هذه الأمة بشعبها وأرضها وتاريخها ولغتها وثقافتها، واستهدافها من أبناء جلدتها على جرائم وآثام أعدائها بحقها هو نوعٌ من الجهل والطيش المدمر الذي يصب في طاحونة أعداء الأقطار العربية قطراً قطراً، لا العروبة بالمجرد فحسب.

فلنتذكر إن من حاصر واعتدى وقتل ودمر لبنان وفلسطين والعراق وسورية وليبيا واليمن وغيرها من الأقطار العربية هم أعداء العروبة، هو غربي أو صهيوني أو رجعي عربي متحالف معهما، ومن دعم الإرهاب وموله وغذاه هم أعداء العروبة، وإذا كان بعض المواطنين العرب المضللين قد مارسوا الإرهاب التكفيري في أقطار عربية أخرى، فإن هناك مضللين كثر من أبناء القُطر ذاته ممن انخرطوا في الإرهاب التكفيري أيضاً، وانجروا خلفه، فمن نكره غير العروبة بعدها؟

وإذا كانت الرجعية العربية في التاريخ العربي المعاصر، كأداة من أدوات الإمبريالية والاستعمار وكحليف للصهيونية قد شاركت الإمبريالية والصهيونية في حصارها وعدوانها، فإن ذلك يدين المنظومة القُطرية العربية التي أسسها الاستعمار، ويدين الرجعية العربية، ولا يدين العروبة ذاتها التي يمثلها الشعب العربي وإرثه الحضاري وطلائعه المناضلة والمتنورة،

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

ولا تؤخذ العروبة بجريرة بعض الأنظمة العربية الرجعية، في الخليج العربي أو غيره، لأننا نحن ممثلي العروبة لا يجوز أن نتخلى عن العروبة لأعدائها، كما لا يجوز بتاتاً أن نتخلى عن الإسلام للتكفيريين لو أساؤوا باسمه، وإذا هاجم أهل العراق وبلاد الشام ومصر والسودان والمغرب العربي العروبة، على من يتجنون إلا على أنفسهم، وماذا يتبقى من العروبة بعدهم، وهل العروبة إلا هم؟!

يحاول العدو أن يشتتنا ويفقدنا توازننا وأن يدفعنا للتخلي عن ذاتنا، وهو جوهر الاختراق الثقافي الذي نجح بخلق بعض المتفرنسين في الجزائر وفي لبنان مثلاً، ويحاول العدو أن يوصلنا إلى حالة استلاب نصبح فيها ألد أعداء ذاتنا، أن نكره أنفسنا، وأن نرمي بأيدينا إلى التهلكة، مستغلاً حالة الاحباط والفوضى التي يولدها دفق المعلومات والصور الموجهة في زمن سيادة تكنولوجيا الاتصالات وشبكات التواصل الاجتماعي، لكن في اللحظة التاريخية الصعبة بالذات، أكثر من غيرها، يجب الإصرار بقوة: عربي وأفتخر.

الواقع العربي بين منهجية التقدم وتلقائية التطور

بشار شخاترة

إن التصدي لتحليل الواقع العربي لسبر أغوار عوامله الكامنة والمحركة لقواه أياً كانت طبيعة تلك القوى تحتاج تأملاً عميقاً والخوض بشكل مركز في التفاصيل، ونستطيع أن نزعم وبثقة أن القوى المتصارعة وما يكمن خلفها من أفكار سواء كانت تقدمية أم رجعية إنها قوى متزاحمة من حيث العدد والنوع. وإن هذا الازدحام يؤشر على حالة انفلاشٍ عامة للمجتمع القومي، وهذا لا يتناقض مع كون بعض عناصر المجتمع العربي في بعض الأقطار العربية يبدي قدراً من التماسك، فالتوصيف هنا ينطلق من مرجعية وحدة الأمة العربية كمجتمع قومي.

لنحدد الفرق بين التقدم والتطور، ليكون بالمقدور تحليل عناصر الحالة العربية الراهنة لجهة حركتها وصيرورتها، وتبيّن الاتجاهات المستقبلية لها.

التقدم يمكن التعرف عليه من خلال خصائصه، فهو فكرة إيجابية مبادرة تسعى دائماً للأفضل، وكذلك فإن مفهوم التقدم ذو طابع إنسانيٍّ إراديٍّ واعٍ، حيث أنه ينطوي على فعلٍ إنسانيٍّ مقصودٍ مُدركٍ مرتبطٍ بالإنسان، وهو كذلك يتسم بالتاريخية والاجتماعية.

أما مفهوم التطور فإنه ذو طابعٍ مادي يرتبط بقوانين المادة سواء حية أم غير حية، وهو يتسم بالآلية والتلقائية، وهو فعلٌ لا واعٍ بالضرورة وقد يكون سلبياً أو إيجابياً ولا يمكن وسمه بالتاريخية.

ولنقرب الفهم في ماهية هذه المقارنة أو هذا الإسقاط للحالة العربية على مفهومي التقدم والتطور، بما يمتلكه كل منهما من معنى وخصائص، فإن محاولتنا هنا تقتضي تشريح الواقع العربي من زاوية السؤال: هل المجتمع العربي يتقدم أم يتطور؟ ومن هي قوى التقدم ومن هي قوى التطور؟ وكيف يمكن أن نُسقط مفهوم التطور كمفهومٍ لا واعٍ على حالة الواقع العربي وفقاً لما بيناه في فهم معنى التطور؟

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

إن الاستجابة المجتمعية العربية للصيرورة تظهر أنها تشعبت في العقود الأخيرة إلى كيانات اجتماعية دينية سلفية مذهبية، وهذا النوع من التحول ذو طابع رجعي حتماً، من حيث أنه يبدي حالة من التراجع عن الكينونة القومية (كيان الأمة) إلى حالات طائفية أو مذهبية أو قبَلية أو حتى مفتقدة للهوية الاجتماعية، فطبقاً لوصف الحالة هذا فإننا أمام حالة تطور أشبه بالتطور غير المنتظم في الخلية الحية، أي ما يشبه الطفرات، ولكنها طفرات اجتماعية، بمعنى إن حالة التطور المجتمعي العربي حالة غير واعية وتتطور بشكل تلقائي وعشوائي دون ضابط ينظمها، فمكمن اللاوعي فيها أنها تستدر الأفعال وردود الأفعال بشكل يعمق حالة التشتت وتبدي مزيداً من التطرف خلف المواقف وبفوضى عارمة، ولعل هذه النزعات الانفعالية لا تكاد تتوقف أمام أي عائق، فمثلاً الحالة الطائفية لا تقف حائلاً أمام منتمي الطائفة الواحدة من التخندق خلف مذاهب تتصارع بذات الكيفية وتتدحرج الحالة ككرة الثلج كمؤشر على تعاظم التناقضات، لكنها أيضاً بالقدر الذي تتعاظم في حالة التناقض فإن مزيداً من التشظي ينتاب الحالة العربية، وهنا مكمن اللاوعي في هذا التطور حيث أنه يكمن في النتيجة، كما أنه حالة داخلية، فالمجتمع بما يشبه الحامل لجين أحد الامراض المتنحية لا تظهر أعراضه على الجيل الأول إنما تبدأ بالظهور فيما يخلفه من أجيال، لذلك هي حالة مُستبطنة في اللاوعي نتيجة تبني خطاب سلفيّ يحمل كل ما من شأنه إثارة التنابذ داخل بنية المجتمع العربي ويعظم نقاط الاختلاف أو التباينات الهامشية تاريخياً ليجعل منها تناقضاً حاداً يُدخل المجتمع في بوتقة صراع تناحريّ، وعلى النقيض تماماً فإن إدارة الصيرورة الاجتماعية العربية تبدي وعياً مذهلاً وعقلانية في التخطيط مستفيدة من غفلة المجتمع وغلافٍ سميكٍ من الإرث السلفي والرجعي تجعل من حركة المجتمع العربي حركة تطورية رجعية من حيث النتيجة مع أنها كفعلٍ إرادي تنطوي على سويةٍ عاليةٍ من التخطيط كما ذكرنا، ويلاحظ في هذه الجزئية أن إدارة التطور هي شيء خارجي ليس جزءاً من بنية المجتمع العربي، والمجتمع ينقسم فيها إما إلى كتلٍ بشرية تخضع للتحول والتطور السلبي الرجعي وبصورة آلية، او إلى أدوات تنتمي لهذا المجتمع قد تدرك أو لا تدرك ما تفعله على الأعم الأغلب.

وهذا يفسر إلى حد كبير حالات الفصام التي تنتاب الأفراد أو التنظيمات أو شرائح اجتماعية في الواقع العربي، فيُلاحظ مثلاً أن هناك من يهتف لعدوانٍ صهيونيٍ على سورية، وبنفس الوقت يخوض معارك ضد هذا العدو على أرض فلسطين، وهذه ظاهرة تنسحب على الكثيرين من المجتمع العربي ممن يبدون تجاوباً لا واعياً في ردود أفعالهم لجهة انتمائهم الديني أو الطائفي أو المذهبي، فيبرز هنا غياب المنطق الذي يغلف ردود الأفعال واضحاً تماماً، وهي حالة ردود أفعال غريزية أشبه برد الفعل المنعكس لدى الكائنات الحية عموماً، وهو نوعٌ من رد الفعل الغريزي اللاواعي، ويظهر عند الإنسان أيضاً في حالة الخطر المفاجئ، وتصدر الاستجابة الحسية فيها بمعزل عن الدماغ البشري، وذلك لإبداء قدرٍ أكبرَ من السرعة في تجنب الخطر المحدق، ما نريد قوله هو أن حركة المجتمع العربي عموماً تطورٌ يفتقد إلى الوعي وإلى النظام وأنه عشوائيٌ غريزيٌ في ظل هيمنة الأيديولوجيا الرجعية التي تؤمن أن الخلاص يكون بالعودة إلى الماضي في حتميات معدة سلفاً، وأنه لا يصلح الحال إلا بما صلح بها أوله، بحيث يعكسون رؤيا دائرية لحركة التاريخ وكأنها تدور دورة كاملة تتكرر فيها الحوادث التاريخية في مسارٍ معروفٍ مسبقاً يقود إلى حتمية الارتقاء من جديد، وهذا بالمناسبة لا علاقة له بالدين، فالأديان العربية، الإسلام والمسيحية، شكلت ثورات حقيقية وتقدمية في عصرها عملت قطيعةً حقيقيةً مع الواقع المعاصر لها، بمحتوى اجتماعي غني وقف منافحاً في مواجهة النظم الاجتماعية القائمة على الاستغلال والعبودية والتناحر، وأهم من ذلك عملت على كسر البنى الاجتماعية السائدة التي لم تعد قادرة على الاستمرار كالانتماء القبلي على سبيل المثال، لصالح بنية اجتماعية أكثر تنظيماً وحداثة وتقدماً، وقد شكلت الدعوة الإسلامية خصوصاً قاعدةً بشريةً ضمت كل من له مصلحة منطقية وعقلانية في تغيير الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية السائدة، فأصبحت قوة أزاحت القديم، وكانت حركة تقدمية عقلانية لم تستدع أي قديم إلا بالقدر المفيد والذي يتفق مع منهجها، ولم تقل بالعودة من جديد والحركة الدائرية للتاريخ بل نادت بالمسار للأمام والبناء والتراكم الكمي والكيفي في نهضة المجتمع، ولا شك في أنها مفارقة تستحق الدراسة في وجهين لدعوة واحدة، سابقة تقدمية الإسلام في ظلال النبوة، وحالية إسلاموية رجعية طائفية ومذهبية، وهذا سببه افتقاد البوصلة بين التجربتين، الأولى بوصلتها تسير في مسار للأمام تقدمي، والثانية بوصلتها دائرية رجعية تدور إلى نقطة تجاوزها الزمن ولا يمكن عقلاً استحضارها لأن مسار التاريخ يسير للأمام ولا يعود للخلف.

أسست مرحلة غياب المرجعية التقدمية في الواقع العربي لنمو حالات طفيلية تندرج ضمن الحالة التطورية اللاواعية، ليشهد الواقع العربي ظهور دعواتٍ تنهش في الجسد القومي لتبني لنفسها كياناً فكرياً بالتلفيق، ففي الحين الذي تستبد فيه القوى الرجعية بالشارع بدعمٍ ماليٍ وإعلاميٍ من البترودولار، تحاول القوى الطفيلية الولوج إليه من أبوابٍ شتى،

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

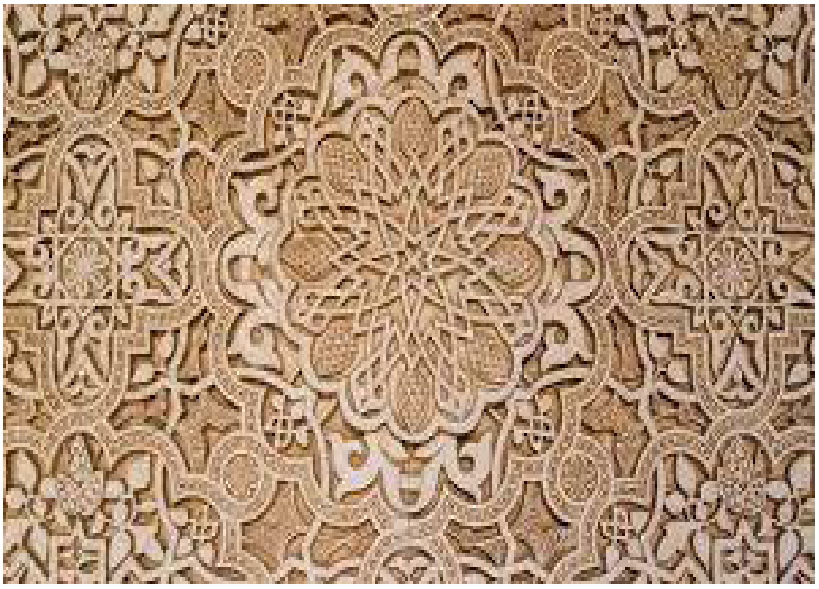

فمثلاً خلق انتماءٍ ملفقٍ إلى الآرامية، التي هي أساساً عربية قديمة، على حساب الانتماء للهوية العربية لسلخ سورية عن جوهر انتمائها العربي، أو الكنعانية كجذر للشعب العربي الفلسطيني، أو «القومية السورية» التي تعتمد الجغرافيا والاقتصاد كأساس لهذه الأمة المزعومة، أو الأمازيغية في المغرب العربي أو الفينيقية في لبنان وتونس.

هل مثل هذه الدعوات تنسجم مع حاجات الأمة العربية أولاً؟ وهل هي حركات تقدمية؟
إن كل محاولة لبناء كيانٍ على حساب البنيان القومي هو قطعاً كيانٌ مضادٌ ورجعيٌ، وبصرف النظر عن تحليل عناصره فهو لا شك في أنه عنصرٌ تثبيط حركة تقدم الأمة، وتأتي الدعوات التفكيكية لتضيف عبئاً إضافياً على كاهل الأمة وعلى كاهل القوى الوحدوية فيها.

فمن بين التناقضات القائمة في الواقع العربي والتي تُعتبر جميع القوى السالف ذكرها هنا قوى تناقضات هامشية على هامش التناقض الرئيسي وهو التجزئة، ونظراً لتشوه بنية الواقع العربي، نجد أن مسار الصراع الطبيعي ينطلق من أساسه المنطقي وهو التناقضات التي تحرك الصراع وتضع له قوانينه وحدوده وطبيعة القوى المتصارعة فيه، من هذه المرجعية يجب أن تقف القوى الوحدوية خلف موقف النضال من أجل الوحدة في مواجهة قوى التجزئة والتفكيك بين القوى التقدمية والرجعية، ويحصل الفرز تلقائياً نظراً لقوانين الصراع، إلا أن الواقع القائم مختلف تماماً، فالقوى الرجعية الطائفية والمذهبية من جهة، والقوى الطفيلية، إقليمية أو مناطقية أو فئوية، من جهةٍ أخرى، تخوض صراعاً على محاور مختلفة، فجميع هذه القوى تخوض معركتها في مواجهة فكرة الوحدة العربية وتمارس حربها على الأمة العربية، في المقابل فإن القوى التي تحمل المشروع القومي ليست بالحضور اللازم كطرف في هذا الصراع باستثناء سورية التي تمثل القوة العربية القومية الأكثر تنظيماً والأكبر أثراً في مواجهة قوى رجعية مختلفة تخوض معاركها على محاور مختلفة.

إن التناقض الذي يقف محركاً للصراع ستفرض قوانينه ولادة القوى والظروف التي تخوض هذا الصراع، فمثلاً الإمعان الطائفي المذهبي الرجعي والطفيلي في جسد الأمة سيخلق مزيداً من التناقض ومزيداً من التراجع، فحتى الدول القُطرية سيواجه بعضها التفكك وبعضها الزوال عن الخارطة، وقد تشهد الحالة العربية سلخ أجزاءٍ منها لصالح دول أخرى نتيجة لتطور الصراع اللاواعي والمشوه الناشئ عن رجعية التناقض السائد وقواه، وهذا بالضرورة مرتبط بنقيضه المنطقي القومي، وسيمهد الأرضية لظهور القوى التقدمية العربية، لأن النتائج الكارثية لرجعية التناقضات والقوى التي تتصارع من خلفها تجعل الحاجة ماسة لتجاوز هذا الواقع.

تشوه بنية الصراع وقواه ليس ناجماً عن أولوية التناقض المحرك للقوى التي تتسيد حلبة الصراع، لأن ذلك يعود إلى أسباب خارجة عن حدود الصراع وقواه، متعلقةٍ بقوى خارجية تعمل على تحريف وجهة الصراع لمنع القوى التقدمية الوحدوية من أخذ مكانها الطبيعي في حلبة الصراع، لذلك قد يكون من المنطقي أحياناً أن تقوم القوى الوحدوية التقدمية بدفع عجلة القوى الرجعية والطفيلية لمزيد من التحدي مع الإبقاء على نقدها وبشدة وتعرية دورها وذلك لاستكمال البيئة المناسبة لصعود القوى التقدمية إلى واجهة الصراع، فالحركة التقدمية لا بد أن تدرك بنية القوى المعادية الداخلية من الداخل ومن يقف خلفها خارجياً بحيث ترسم لنفسها خارطة واضحة المعالم لإدارة الحركة النضالية التقدمية بوعي وإدراك حثيث الخطى للأمام، موقنةً بأن الواقع القائم غير قابل للاستمرار نظراً لما يخلقه من تناقضات ولكون هذا الواقع يحمل عوامل هدمه، التي يبذرها في سيره، لذلك دراسة تطور الحالة تحتاج إلى تقييم مستمر أولاً بأول لتعديل الخطة كلما اقتضى الحال.

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

كما أنه من ضمن أولوياتها تصحيح مسار الصراع واختيار القوى الأولى بالبدء بها حسب مقتضيات الميدان وتصحيح التشوه، لأن القوى المضادة تعمل على تزييف خطابها بشكل يحرف النظر عن حقيقة الصراع معها ويدخل القوى التقدمية في دوامة التبرير والاستنزاف، لذا يتوجب عليها أن تحدد القوى المضادة وتفضح أهدافها وتعري ممارستها وتكشف النتائج التي تقود اليها تلك القوى، وبهذا تأخذ صيرورة الصراع صبغتها التقدمية.

إنّ واقع القوى الطفيلية تحديداً يمس مباشرة الدولة القطرية العربية، وإنْ كان بالنتيجة يطال الأمة العربية ومشروع نهضتها ووحدتها، لذلك لا بد أن تقف القوى القومية الوحدوية التقدمية موقفاً براغماتياً مؤقتاً في دعم صمود الدولة القطرية في مواجهة طفيليات التجزئة، على قاعدة وحدة الأمة ووقف مسارات التجزئة والتفكيك، في الوقت ذاته الذي تؤكد فيه على الطبيعة الوهمية لحدود التجزئة بين أقطار الأمة العربية، وبالتالي على دعوتها الوحدوية التقدمية الشاملة.

الجماعات المتخيلة: النزعات الانفصالية للأمازيغ والآراميين

فارس سعادة

مرت مئة عام تقريباً على اتفاقية سايكس- بيكو، التي مزقت الوطن العربي شر تمزيق بعد الحرب العالمية الأولى، ورغم عدم يقين القوى الاستعمارية الأوروبية من نجاح هذا التمزيق تماماً وفي جميع الأقطار العربية، إلا أنهم استمروا وعملوا على استدامة المخططات من خلال المعاهدات اللاحقة لاتفاق سايكس-بيكو، من معاهدة سيفر إلى لوزان وصولاً إلى قرار التقسيم عام 1948 بعد هزيمة الأنظمة العربية على يد العصابات الصهيونية في فلسطين المحتلة.

عمليات التفكيك المنظمة للوطن العربي شرقاً وغرباً، حدثت على مستويات مختلفة، ووظفت لأجلها الكثير من الخبرات والأدوات السياسية والعلمية الحديثة في أوروبا، هذه الأدوات كانت تعمل ضمن شرط أساسي ورئيسي في كل خطوة، وهو القوة والتفوق الأوروبي عسكرياً ومعرفياً، وبالتالي كان لا بد من تكسير أي تفوق عربي في أي مجال ولو كان ذلك التفوق كامناً وغير متبلور على الساحة السياسية أو الثقافية.

تعددت الأسباب والعوامل التي أطالت من عمر الامبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر، ولربما كان ما يسمى "المسألة الشرقية" أحد أهم تجليات أهمية بقاء الامبراطورية العثمانية على قيد الحياة إن في البلقان أو في الوطن العربي. فبعد انهيار مشروع محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا في المشرق العربي ومصر على يد الأوروبيين، بدأت القوى الأوروبية في التغلغل بشكلٍ كبيرٍ وملموسٍ في الوطن العربي في ظل الاحتلال العثماني وبموافقته، وقد تسلل هذا الحضور على عدة مستويات مختلفة، وسعت أوروبا فيما سعت إليه من أهداف إلى التأسيس لتفكيك المنطقة بشكلٍ ناعمٍ وبطيءٍ، ولربما يقول البعض حول هذا الافتراض بأنه مبالغة وتضخيم "لعبقرية الاستعمار" إلا أن الواقع يعكس هذه الحقيقة المرة، وتؤكد الحقائق التالية على تداخل الحضور الأوروبي في الوطن العربي خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وصولاً إلى العام 1930 مع عمليات التفكيك الممنهجة:

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

1. عمليات الفرنسة في المغرب العربي ثقافياً، تزامناً مع محاولة طمس اللغة العربية.
2. سرقات الآثار الممنهجة للآثار المادية من المشرق العربي والمغرب العربي ونقلها إلى أوروبا.
3. توظيف علم الخرائط في عمليات المسح الواسعة التي شملت كل أرجاء الوطن العربي تقريباً، وأشهرها كان مسح الذخائر في فلسطين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الذي ساهم في رسم خريطة "فلسطين اليهودية المتخيلة".
4. عولمة الحضارة العراقية القديمة، عبر إرجاع أصولها إلى أناس مجهولين "السومريين"، والتنظير لكل موقع أثري بشكل منفصل عن المحتوى الاجتماعي والسياسي، أي خلق ثقافة منفصلة عن المحيط، أي عن المكان والزمان.
5. تأسيس المتاحف في كل من القاهرة وبغداد والقدس وبيروت ودمشق وحلب، وإعطاء كل متحف طابعاً ثقافياً وتاريخياً مختلفاً ومنفصلاً عن الآخر، بحيث أن متحف بيروت مثلاً مثّل الحضارة "الفنيقية"، ومتحف دمشق مثّل الحضارة العربية الإسلامية، ومتحف حلب مثّل "الحضارة المسيحية"، ومتحف القدس مثّل "فلسطين اليهودية".
6. القوانين والتشريعات التي شرعت الوصول إلى الآثار لأي دول أوروبية، أو قسمت الآثار بين مكاتب الامتيازات الأجنبية في فلسطين وبلاد الشام عموماً.
7. خطوط سكك الحديد في العراق وسورية، والتي قسمت المناطق بشكل أرعن وخبيث، حيث هناك مؤشرات واضحة على أن خط سكة حديد برلين-بغداد اعتمد على تقسيم "تاريخي" مزعوم للعراق، كما أن خط سكة حديد الحجاز في الأردن عمل على تقسيم شرق الأردن بين "بدو وفلاحين".

فعل الاستعمار فعلته الخبيثة وترك الوطن العربي في شرك "التخيل الجماعي" لفرضيات وأكاذيب واضحة وسطحية، وعلى رأس هذه الأكاذيب "يهودية فلسطين"، "آرامية سورية" أو "سوريانا" و"فنيقية" لبنان كما يدّعي بعض البلهاء من جهلة التاريخ والعلم، و"أمازيغية المغرب" كما يدعي بعض الفرانكفونيين الكارهين للعروبة والقومية العربية بالرغم من أن سحنتهم تشير إلى جبال اليمن وعُمان!!!

ضخامة هذا الموضوع معلوماتياً تتطلب تحديده بمقارنة واضحة وعاجلة تلمس الواقع العربي الآن، لذلك سنتطرق إلى مسألتين تعمل الدوائر الاستعمارية على تأجيجهما لكي تشتعل ناراً إن أشتعلت لا يمكن أن تنتهي إلا بدماء المساكين والطيبيين من أبناء شعبنا العربي. ولعل النزعة "الأمازيغية" في المغرب العربي، والنزعة الآرامية في بلاد الشام وتحديداً في الجمهورية العربية السورية لهما الأولوية في ظل الظرف الراهن في الأقطار العربية المستهدفة من قبل الاستعمار الأوروبي ومؤسساته الثقافية.

النزعة الأمازيغية في المغرب العربي بين الحقيقة والمخيلة الاستعمارية الفرنسية

يتناول هذا العنوان مخلوقاً أسطورياً يسمى "أمازيغ" لا وجود مستقلاً أو حقيقياً له، بل هو مخلوق استعماري فرنسي، يوظف في سبيل العداء لعروبة الأرض والسكان منذ القرن التاسع عشر وإلى الآن، وإن تلّوّن بألوان مختلفة منها العلماني ومنها الإسلامي حديثاً؟

يؤكد علماء البيئة والجيولوجيا أن ما يسمى شمال إفريقيا كان خصباً إلى حد ما بسبب تواجد عدد كبير من البحيرات العذبة قبل الألف الثامن قبل الميلاد، وإن الانسحاب السكاني من هذه المنطقة إلى وادي النيل بدأ مع نهاية الألف الثامن قبل الميلاد تقريباً، في تزامنٍ واحدٍ تقريباً مع الجفاف الذي ضرب الجزيرة العربية في نفس الفترة مما أدى إلى انسحابٍ سكاني من الجزيرة العربية والخليج العربي الحالي إلى العراق وبلاد الشام وحتى مصر. هذا الانسحاب التدريجي للسكان أخذ أكثر من أربعة آلاف عام تقريباً لكي يبلور حضارات مصر والرافدين وسورية في مناطق الجزيرة الفراتية، وقد تزامنت أيضاً بشكل تقريبي عمليات النهضة البشرية في هذه المناطق بشكل مثير للاهتمام والعجب، إذ أن التشابه الثقافي بين هذه الحضارات يكاد يكون متطابقاً عدا الاختلافات التي فرضتها البيئة والحاجات الحيوية للسكان بسبب ضرورة التكيف البشري مع البيئة والمخاطر الحياتية.

إذن، بداية التمدن البشري بدأ في مناطق الهلال الخصيب، أي بلاد الشام والعراق، وفي وادي النيل، أي مصر، أو «كمت»، الاسم القديم لمصر، ومن هذه المناطق حدثت الهجرات المختلفة أو لنقل بشكل أدق «الجولات» السكانية

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

الجماعية الضخمة التي هاجرت من منطقة لأخرى لأسباب بيئية وسياسية أو اجتماعية مختلفة، فمن اليمن هاجرت جماعات سكانية إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط خلال فترات مختلفة قبل الميلاد بثلاثة آلاف عام، ومن سواحل شرق البحر الأبيض المتوسط، في سورية ولبنان وفلسطين مرة أخرى، هاجرت الكثير من الجماعات بشكل جماعي إلى سواحل شمال إفريقيا لكي تشكل أولى المدن التاريخية فيها من قرطاجة إلى سرت، ومن ثم إلى سواحل شبه الجزيرة الأيبرية في إسبانيا في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، لكي تؤسس مدينة وميناء قادش السوري.

سميت أرض الجزائر بنوميديا، أي أرض البدو، والفرسان النوميديون هم من شكلوا القوة الضاربة في جيش حنبعل السوري "الفنيقي" أو البونيقي، وفي كل كتب التاريخ المنصفة، وفي نتائج الحفريات الأثرية الحديثة، ثبت بالدليل المادي الثقافي أن الوحدة الثقافية للمغرب العربي هي وحدة تاريخية لم ينغص عليها العيش سوى الاحتلال الروماني، ومن ثم الوندالي، وصولاً إلى الاستعمار الحديث المتمثل بفرنسا.

يعتمد أصحاب النزعة "الأمازيغية" على اللغة والكتابة والتاريخ، أي الماضي الحضاري المتمثل بـ"التراث والفلكلور"، لإثبات انفصالهم عن العروبة، وهو ما يسهُل إثبات بطلانه بالأدلة المادية والحضارية الحية إلى الآن، إذ أن خط "التيفناغ"، وهذا مسمى باطل لا أساس له إلا في مخيلة الاستعمار وأدواته، كما يسرد الدكتور عثمان السعدي والبروفسور الأخضر بن كولة من الجزائر، لأن هذه الخطوط ما هي إلا خطوط عربية قديمة مشتقة من المسند العربي، وهو خط يمني انتشر في اليمن والجزيرة العربية. أما اللهجات الشعبية والمحلية في المغرب العربي، والتي تشكل عصب الهجمة المعادية للعروبة واللغة العربية، فقد اتضح بلا أدنى شك أنها خليط من اللهجة "البونيقية" القديمة واللهجات العربيات القديمة، فلقد أطلق العرب على عرب المغرب العربي الكبير اسم "بربر"، وكما يذكر الدكتور أحمد داود، والأستاذ الكبير محمد بهجت القبيسي، كبير الآثاريين العرب، فإن مصطلح "البربر" أطلق عليهم لأنهم يسرعون بالكلام، وهذا واضحٌ وجلي، فإلى الآن يطلق أهل بلاد الشام على الكلام السريع وغير المفهوم تماماً "بربرة كلام"، أو " لا تبربر في الحديث"، أي أبطئ قليلاً لكي يُفهم كلامك. وهنا نذكر أن بعض اللهجات اليمانية إلى الآن تتشابه تماماً مع الكثير من اللهجات الشعبية في المغرب العربي، نضيف أن الاختلاف بين اللهجات الشعبية في المغرب العربي، أو ما يسمى لهجات "أمازيغية"، كبيرٌ جداً، حتى أن ما يسمى أبجدية "تيفناغ" لم توضع إلا حديثاً في القرن الفائت تحت إشراف الاستعمار الفرنسي، وإلى الآن لم يتم تقعيدها أو صرفها نحوياً، فهي خليط مسخٌ من اللهجات الشعبية وهي عربية الأصل مع بعض المصطلحات الفرنسية بفعل عملية الفرنسة الطويلة في المغرب العربي.

أما توظيفهم لتاريخ متخيلٍ فهو عملٌ مردودٌ عليهم، فالتراث المادي يعطل مفاعيل النزعة الأمازيغية بشكلٍ كبيرٍ، إذ أن الآثار المادية تعكس عروبة المنطقة تماماً من مدن قرطاجة وسرت إلى مدينة لبدة في ليبيا، وهي تحمل الطابع المعماري العربي القديم في سورية تحديداً، ولا نجد من المؤرخين من ينكر ذلك، حتى أن القديس "أوغسطين" أحد موظفي روما اعترف بنفسه بأن اللغة البونيقية هي السائدة بين جميع فلاحي المغرب العربي، وقد فشلت كل محاولات روما لطمس هوية قرطاجة الحضارية، فنجدها حسب مؤرخي روما تعود للحياة بعد سقوط قرطاجة بشكل أكبر وأعنف في مواجهة الرومان، وقد أشار الدكتور عثمان السعدي إلى ذلك في كتابه "الأمازيغ عرب عاربة" بشكل مفصل لا يتسع المقال لذكرها.

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

اتسمت النزعة "الأمازيغية" بالتزييف التاريخي الذي يحاول أن ينسب لنفسه انجازات وأحداث لم تحدث قط أو أنها حدثت لكن بشكل مغاير، ومنها ما حدث قبل أيام في الجزائر العاصمة من احتفال بما يسمى عيد "الإله يناير" رغم زيف الحدث التاريخي، وقد اتسم الاحتفال برقصات وثنية رومانية، لا "أمازيغية"، ومنها التبرك بجلد الخاروف، وهي عادةٌ رومانيةٌ قديمةٌ موثقةٌ لا علاقة لنا ولا "للأمازيغ" المزعومين بها، ولكن وفي سبيل خلق ماضٍ متخيل وزائف للتنصل من الهوية العربية يقوم أصحاب هذه النزعة المتفرنسة بتخيل تراث وممارسات معينة لتبرير استقلالهم التاريخي المزعوم، فضعف هويتهم المختلقة هو بداعي التنصل من الهوية العربية قديماً وحديثاً.

يحاول أصحاب النزعة "الأمازيغية" طمس حقيقة التمازج الحضاري وعملية الذوبان الحضارية بين الهجرات العربية العديدة منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وهي هجراتٌ من اليمن وسواحل بلاد الشام، وبين أهل المغرب العربي، والذي تُوج بالتحالف النوميدي- القرطاجي الذي حاصر روما خمسة عشر عاماً، والتمازج الحضاري الذي أنتج حضارة العرب في الأندلس وفاس والقيروان، عبر الهجرات العربية إبان الفتح العربي الإسلامي وقبائل البربر اليمانية العريقة في المغرب العربي. هذا التمازج الثقافي، بل والعرقي، بين نفس العرق العربي الواسع، هذا العرق الثقافي القديم الذي امتص كل الهجمات وصمد في وجه الزمن إلى الآن، لم يحدث مثلاً خلال 600 عام من الاحتلال الروماني والأوروبي للمغرب العربي! كما لم يحدث إبان الاستعمار الفرنسي، بل اشتدت المواجهة معه على الصعيد الديني والثقافي، ومن ثم العسكري، من قبل الشعب العربي في المغرب العربي، وكما يؤكد الكثير من الباحثين فإن المواجهات بين جيوش الفتح العربي الإسلامي والبربر كانت تقع فقط عند مواجهة عملاء روما والقسطنطينة، وهو ما وثقه البرفيسور الأخضر بن كولة بشكل كبير في أبحاثه الموسعة.

إذن، تستخدم النزعة الأمازيغية اللغة والتاريخ "المكتوب غربياً" لإثبات النزعة العرقية المتخيلة والمصنوعة من قبل الاستعمار في مكاتب باريس خلال ثلاثينيات القرن الفائت، وهي حججٌ ساقطةٌ علمياً وتاريخياً حتى أن صفحات مواقع التواصل الاجتماعي التي تهتم بالخط المسند تثبت ذلك ببساطة عبر نقوش الأرض المنثورة على كل شبر في أرض اليمن وعُمان إلى الآن، وهي تلتقي مع أي نزعة معادية للعروبة من الحركة الصهيونية إلى الحركات الفرانكفونية، وحديثاً توافقت هذه النزعة العنصرية المتخيلة مع الإسلام السياسي في المغرب والجزائر، حيث أن هناك أصوات "أمازيغية" تنادي بشعارات إسلامية متخيلة لتبرير حق "الأمازيغ" برفض عروبتهم وهويتهم التاريخية الحقيقية في سبيل طمس هوية المغرب العربي العروبية الأصيلة.

ليس من الغريب أيضاً أن تلتقي النزعة "الأمازيغية" العنصرية بالنزعة "الآرامية" التي تطالب "بآرامية سورية" فالأساس واحد وهو الاستعمار الفرنسي، والمرتكزات واحدة لا تختلف سوى بالمسميات والجغرافيا، وجميعها تقول بأن الفتح العربي الإسلامي هو من طمس هويتهم التاريخية عبر الدين الاسلامي واللغة العربية وبطش جيوش الفتح بهم!

النزعة الآرامية كآخر بيدق للاستعمار في بلاد الشام

قام الاستعمار الغربي في منطقة بلاد الشام "بريطانيا وفرنسا" بمحاولة طمس الوحدة الحضارية لمنطقة الهلال الخصيب، من خلال التقسيم السياسي عبر خرائط سايكس-بيكو، وخلق أدوات معينة لتثبيت هذا التقسيم ولشرعنته تاريخياً، وقد سارت عملية تثبيت التقسيم المتخيل هذا بشكل موازٍ لعملية خلق الكيان الصهيوني، وذلك لضمان عدم وجود مركز سياسي قوي يقف في وجه الأطماع الصهيونية في فلسطين والمشرق العربي.

كانت عوامل الوحدة الثقافية والتاريخية في بلاد الشام أقوى من أن يتم تفتيتها عرقياً أو لغوياً كما حاول ولا يزال الاستعمار في المغرب العربي، فالتواصل الحضاري ثابتٌ في بلاد الشام وواضحٌ وضوح الشمس، فلم يكن للاستعمار من طريقة للتفكيك، إلا أن يخلق هويات فرعية صغيرة هنا وهناك لتقسيم بلاد الشام والهلال الخصيب عموماً، أو أن يعولم هذه الثقافات، فمن العراق خرجت "الحضارة العالمية" "مهد الحضارة البشرية"، وفي بلاد الشام كان الآراميون والأمويون، وفي الأردن عزز الاستعمار، ومن ثم حكومات التجزئة، "الهوية الوطنية الأردنية" عبر استخدام البتراء والأنباط كمعزز ثقافي وتاريخي للتقسيم الثقافي.

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

لعل جهل النخب العربية في بداية القرن العشرين ومنتصفه، أو للإنصاف نقول جهل جزء من هذه النخب، هو الذي أدى إلى الخروج بما يسمى النزعة الآرامية "القومية السورية" المتخيلة التي لا أساس لها تاريخياً سوى خرائط الآثار الفرنسية، ومناهج القومية الأوروبية الحديثة، وذلك في وجه القومية العربية والانبعاث القومي الحديث، "حزب البعث، وحركة القوميين العرب"، وهنا لا نقصد أنه لا وجود للآراميين في بلاد الشام لكن أن ذلك الوجود كان ضمن المحتوى العربي القديم، هذا الوجود التاريخي الثابت في أرض بلاد الشام من منطلق قبائل العموريين في جبال حمص إلى بابل وصور ويافا.

يرتكز الخطاب الرئيسي لهذه النزعة كما في نزعة "الأمازيغ" على كره العروبة ومحاولة التنصل منها تاريخياً، بحجة رئيسية وهي أن اللغة العربية والعنصر العربي دخيلٌ جاء فقط منذ الفتح العربي الإسلامي للمنطقة، بالرغم من أن الفتح حدث قبل أكثر من ألف وأربعمئة عام وهو قديم مقارنة بقوميات تشكلت حديثاً كالفرنسية مثلاً أو البريطانية! إلا أنها تبقى حجة مضللة غير حقيقية تصب في صالح الخطاب الاستعماري القائل بفصل بلاد الشام عن مصر والمغرب العربي، وهو بالمناسبة الهدف الرئيسي من قرار اغتصاب فلسطين، وذلك لمنع تكرار محاولة محمد علي باشا التوحيدية في القرن التاسع عشر لأن توحيد القسم الآسيوي والقسم الإفريقي من الوطن العربي بات الاستعمار يرى أن من الضروري إيقافه أيديولوجياً!

إذن، تلتقي النزعة الآرامية مع النزعة "الأمازيغية" بعدة مفاصل رئيسية وهي:

1. كره العروبة، ومحاولة التنصل منها ومهاجمتها.
2. عنصرية عرقية "متفاوتة" ضد العرب تحديداً، لا الشعوب الأخرى! بالرغم من مجازر الأتراك بالسريان والكلدان!!!
3. إنكار الركيزة اللغوية كأساس ثقافي وتاريخي.

تاريخياً سيطرت الحضارات القديمة في منطقة بلاد الرافدين على الهلال الخصيب والجزيرة العربية خلال فترات طويلة، وبحسب علم الآثار الحديث فإن النمط الثقافي السائد كان موحداً إلى أبعد الحدود، لغوياً ودينياً وتراثياً، مع وجود تمايزات فرضتها البيئة والتي تمثلت بوجود ثقافة الرعي، والفلاحة والمدن الداخلية والساحلية مع وجود متفرق للبداوة هنا وهناك.

يعتمد أصحاب النزعة الآرامية على اللغة والجغرافيا أو التواصل الحضاري على نفس الجغرافيا كدليل ومعزز للهوية "السورية المزعومة"، فاللغة الآرامية هي اللغة العالمية لمدة ألف عام من الألف الأول قبل الميلاد إلى 200 ميلادية تقريباً ولكن بشكل أقل انتشاراً في آخر مئتي عام، والدين المسيحي دين آرامي، والممالك الآرامية هي ممالك سورية داخلية، شقيقة دول المدن على الساحل السوري من غزة إلى أوغاريت، أما الأشوريون فقد شكلوا الدولة المركزية لهم وأوج الحضارة "السورية" إلى جانب "الفنيقيين" على السواحل.

هذه السردية التاريخية تهمش حقائق كثيرة لا مجال لذكرها هنا، ولكن نذكر منها: وحدة الثقافة، وتحديداً "الدين" من الخليج العربي إلى جنوب تركيا الآن، وفي استمرارية هذا التواصل كانت آلهة العرب القومية "اللات" والتي لم يتم العثور على تماثيل لها إلا في الداخل السوري، كما أن الخط العربي الذي نكتبه الأن هو خط مشتق مباشرة من الخط الآرامي، كيف لا وملك الرها السورية "أبجر" عربي اعتز بعروبته، حتى أن روايات التاريخ القديمة عن جوليا دمنا تخبرنا بأسماء أخواتها العربيات ميساء وسمية وأمية، وما بالنا ننسى أن أمراء سورية منذ الأنباط والتدمريين وصولاً إلى الغساسنة هم من العرب، وقد تمكنوا من قيادة الفتح العربي الإسلامي بكل جدارة بعد تحرير بلاد الشام من الاحتلال الروماني؟ ناهيكم عن أن المقاومة العربية في سورية ضد الاحتلال الروماني أخذت طابع الصراع الديني، فالصراع بين اليعاقبة والنسطورية، وهذا إن أخذنا بعين الاعتبار مسألة دخول الفتح العربي الاسلامي إلى المدن السورية بلا مقاومة بل بترحيب شعبي كبير، وهذا مذكور في التأريخ البيزنطي والعربي الاسلامي.

إن تهميش سرديات تاريخية رئيسية مثبتة أثرياً وتاريخياً في مقابل تعميم ونشر سرديات متخيلة من قبل الاستعمار وتبنيها في وجه الهوية العربية لا يمكن إلا أن يقابل بنشر الحقيقة التي تقول بعروبة بلاد الشام والقبائل العمورية أو

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

الآراميين، فآخر ملوك الكلدان "البابليين" نبونئيد عاش في حران، أو تيماء في الجزيرة العربية، وآثار مدينته شاهدٌ حيٌ إلى الآن، واللهجات العاميات في بلاد الشام عربية أصيلة تحمل غالبية جملها مصطلحات "آرامية" مستمرة إلى الآن كما كانت في السابق لم تطمس، فأسماء القرى والمدن في فلسطين غالبيتها أسماء تاريخية قديمة تبدأ ب "كفر" أي قرية مثلاً، وهي لا تختلف كثيراً عن مسميات القرى في سورية الداخلية أو دمشق وما حولها كما في جبل لبنان أو الأردن، وهذا الاستمرار في الاستخدام اللغوي للمصطلحات يعكس الوحدة الثقافية للمنطقة، فلا نرى أسماء لاتينية أو يونانية أو فارسية مثلاً للقرى والمدن، ولا نرى عبادات أو تقاليد من التراث إلا وتكون جزءاً من المسيحية أو الإسلام والعكس بالعكس، فبعض تقاليد الأديان هي انعكاس للديانات العربية السورية القديمة، وهكذا دواليك....

انتشر العرق العربي في بلاد الشام بشكلٍ كثيفٍ بلا انقطاع، فترك بصمته العربية بشكل عميق في كل مناحي الحياة الثقافية والمادية، ورغم وقوع منطقة بلاد الشام تحديداً على خارطة طرق التجارة والحرب في العالم القديم إلى الآن، إلا أن العرق العربي صامد بثقافته العريقة، التي لم تكن يوماً عنصرية، رغم عنصرية أغلب النزعات الأقلوية التي تنادي بمعاداة العروبة بحجج واهية، مثل الكرد، فهي تشترك مع النزعة "الأمازيغية" في المغرب العربي بكره العرب والهوية العربية.

صحيحٌ أن النزعة "الآرامية" بسبب جغرافيتها ومصالحها الجيوسياسية لا تتفق مع النزعة "الأمازيغية" الانفصالية في صداقتها للكيان الصهيوني، إلا أن التنصل من العروبة لا بد به أن يقود أصحابه إلى هذا الطريق، وهو طريق اللاعودة، حيث لا مجال فيه للعفو والسماح.

يتضح التوظيف الاستعماري لمثل هذه النزعات المتخيلة في تفكيك الهوية العربية إلى الأبد، فالنزعة الآرامية مثلاً كان أساسها الاستعماري واضحاً من خلال تقسيم المتاحف في بلاد الشام وتوزيع المحتوى الثقافي المادي فيها، من لبنان إلى حلب، وما التسميات الأثرية للحضارات والمواقع الأثرية إلا جزء من هذه المحاولة التي تهدد الهوية العربية لهذه المنطقة وجودياً، فالنظر إلى مصر أو الجزيرة العربية والمغرب العربي بعيداً عن المحتوى العربي ما هو إلا وهمٌ وخيال، يرفضه المنطق والعقل، فأمن مصر من أمن بلاد الشام وهكذا، جغرافية متكاملة لا تحتمل التجزئة، وهذا ليس كلاماً خطابياً بل حقيقة اكتشفها المصريون منذ الألف الثاني قبل الميلاد كما العراقيون ومملكة يمحاض العربية السورية، وحديثاً اكتشف محمد علي باشا ومن ثم جمال عبد الناصر البعد العربي لمصر، كما فعل حافظ الأسد ووسع مجاله الحيوي إلى لبنان وعبر أي مقاومة ضد الاحتلال الصهيوني للأرض العربية، وهي ضرورة وجودية للأمة العربية، ولا يمكن لهذه النزعات الانفصالية المتخلفة عن الحقائق التاريخية والأثرية التي تثبت عروبة الأرض رغماً عنهم وعن "زوبعاتهم الغبارية" التي لن تجلب لنا سوى الفوضى ومزيد من التقسيم والتجزئة.

معارك على الجبهة الإعلامية.. من يتصدى لها؟

كريمة الروبي

تتسارع وتيرة التطور الحادث في تكنولوجيا وسائل الاتصال والإعلام، فمن الصحافة المطبوعة إلى الراديو ثم التليفزيون وليس انتهاءً بالهواتف المحمولة، أصبح من الضروري مواكبة هذا التطور الذي يُستخدم كسلاح لا يقل خطورةً عن الأسلحة التقليدية، وهو الدرس الذي تعلمته القيادات السياسية على مر التاريخ من استخدام الدعاية والآلة الإعلامية لمواجهة الخصوم، والدعاية التي استخدمت خلال الحرب العالمية الثانية خير شاهد على ذلك.

وفي الستينيات من القرن العشرين، حملت مصر العربية راية التحرر الوطني ومواجهة الإمبريالية في الوطن العربي والعالم الثالث مستندة على آلتها الإعلامية ذات التأثير العابر للحدود (إذاعة صوت العرب) التي لعبت دوراً كبيراً في دعم حركات التحرر في الوطن العربي ودول العالم الثالث.

ولكن تظل الحملات الإعلامية التي تعرضت لها الأمة العربية خلال ما يسمى بـ «الربيع العربي» هي المثال الأوضح على مدى قوة وتأثير الإعلام في تزييف الوعي وإثارة الفتن والحروب وتدمير الأوطان، وهي الحملات التي لم تقابلها حملات مضادة تتصدى لهذا الكم من الكذب والتضليل.

لائحة القومي العربي

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

لا شك في أن امتلاك أسلحة متطورة أمرٌ في غاية الأهمية للوقوف أمام أي غزو خارجي أو مخططات داخلية، ولكن امتلاك وسائل إعلام قوية، لا يقل أهميةً وضرورةً عن تلك الأسلحة التقليدية، فمنظومة الصواريخ الروسية S300 التي استطاعت سورية امتلاكها للتصدي لأي عدوان خارجي، لا تكفي وحدها لحماية سورية التي لم تنتهِ المؤامرة عليها بعد، ولن تنتهي طالما ظلت سورية متمسكةً بخطها العروبي المقاوم، ولكنها تحتاج أيضاً لسلاحٍ من نوعٍ آخرَ لمواجهة المعارك الدائرة على الجبهة الإعلامية.

إن انتصار سورية على الإرهاب لن يكون نهاية المؤامرة، ولن يجعلنا نتغاضى عن بعض السلبيات التي دعمت موقف أعدائها وعلى رأسها ضعف الآلة الإعلامية التي تعبر عن النهج العروبي الداعم للمقاومة ولكل أحرار العالم الصامدين أمام الغطرسة الأمريكية والرافضين لهيمنتها على العالم، فالمؤامرة على سورية ستتكرر وسيستخدم الإعلام بشكل أكثر شراسةً من ذي قبل، ويجب مواجهتها بإعلامٍ قويٍ قادرٍ على الوصول للجماهير العربية والتأثير فيها.

وعلى الرغم من أن الشعب العربي بفطرته السليمة كان ضد المؤامرة على سورية وليبيا، إلا أن ضعف الإعلام المنوط به كشف تلك المؤامرات كان عائقاً أمام وقوفه في وجه الشائعات والأكاذيب التي روجها الإعلام الخليجي والممول خليجياً، الذي يعتمد على أحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا الاتصال، وعلى كوادرَ إعلاميةٍ على قدرٍ عالٍ من الاحترافية.

إن فرصة امتلاك إعلامٍ قوي قادرٍ على التأثير والوصول للملايين ليس بالأمر الصعب، فقناة «الجزيرة» القطرية التي قادت وما زالت تقود مخططات التقسيم في الوطن العربي قامت في بدايتها على أكتاف إعلاميين قوميين عروبيين على قدر كبير جداً من المهنية والاحترافية، قبل أن يتركوها بعد افتضاح أهدافها، كما أن توضيح الحقائق يحتاج مجهوداً أقل من تزييفها، وما نرجوه فقط من الإعلام هو كشف الحقائق لا أكثر.

إننا في أمسّ الحاجة لثورةٍ في الإعلام ليكون بحجم التحديات التي تواجه الأمة العربية، وأي تهاونٍ في هذا الأمر هو بمثابة استسلامٍ وتهاونٍ في حق الوطن، ويصبح كالجندي الذي يلقي سلاحه ويستسلم وسط المعركة.

منبر حر: الحداثة والتنوير

توفيق شومر

تمهيد:

كما هي الحال تقريباً مع كل المصطلحات الفلسفية في الفكر الإنساني، ليس هناك اتفاق على تعريف محدد لمفهوم الحداثة. ويعود مصطلح الحداثة كمفهوم إلى (هيغل) وفكره العقلاني، إذ أنه هو أول من استخدم المفهوم بشكل فكري محدد. لكنه كبناء فلسفي معبر عن محددات فكرية مفهومية واضحة تعود في رأيي إلى (إمانويل كانط) وموقفه الثابت من العقلانية والعلم والأخلاق، هذه المحددات الفكرية هي التي سادت كإطار مرجعي للفكر الغربي على تنوعه (هنا لا بد من التوضيح أنه بينما تمكن فكر كانط من الوصول إلى الفكر الإنجلو- ساكسوني، وتمكن من فرض محدداته على هذا الفكر، بقي تأثير هيغل منحصراً في الفكر الأوروبي، إلا اليسر القليل).

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

لقد ربط الفكر الغربي الحداثة والتنوير بمخرجات مرحلة الثورة العلمية الكبرى وما رافقها من ثورة صناعية أدت فيما أدت إلى الثورات البورجوازية. ولذلك فقد ربط بعضهم التنوير والحداثة بالعقلانية الغربية بحيث تم التركيز عند ماكس فيبر على قدرة هذه العقلانية على إزالة السحر من العالم. ويذهب الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس بأن مشروع الحداثة لم يكتمل بعد ، بالرغم من أنه يتفق جزئياً مع فيبر بأهمية العقلانية الغربية في مشروع الحداثة.

لا بد هنا من التأكيد بأن مفاهيم الحداثة هي مفاهيم لا ترتبط فقط بالمجتمع الغربي، ولا بالعقل الغربي، فالعرب كان لهم حداثتهم وفيها ازدهرت العلوم والموسيقى والفنون والفلسفة والآداب ... تماماً كما كان فعل الحداثة في الغرب. فجذور الحداثة العربية تعود للقرنين الثالث والرابع الهجريين، ونرى أن العقلانية كانت هي السائدة أبان تلك الحقبة ، فقد كان الفكر المعتزلي هو الفكر الرائج، وكان علم الكلام في أوج سجالاته، وكانت الفنون والآداب وغيرها من صنوف الانتاج المعرفي مزدهرة وشائعة. بل يمكن القول أن تأثير الحداثة على المستوى الفكري أستمر حتى عصر ابن رشد. إذن، وإذا ما تخلصنا من سيطرة المركزية الأوروبية فإننا قد نجد ما يبرر الحديث عن وجود حداثات بدلاً من الحديث عن "الحداثة" بوصفها منتج خالص للتنوير الأوروبي.

الحداثة وما بعدها:

إن مفاهيم الحداثة الأساسية مهمة للتطور ومهمة لمحاربة الخرافة والخزعبلات. أما عن الحداثة وما بعدها والتحديث فهناك جدل كبير حولها وعلى الأخص لأن البعض يعتبر أن مفاهيم ما بعد الحداثة هي مفاهيم أكثر تطوراً ونضوجاً من مفاهيم الحداثة، وبالتالي ولأن المجتمع عربي، أو حتى المجتمعات النامية الأخرى، لم تدخل بعد في مرحلة الحداثة فلا ضير أن تنتقل فوراً إلى مرحلة ما بعد الحداثة وخصوصا أن الفكر السائد اليوم هو فكر ما بعد الحداثة . هذا المنطق مرفوض بالإطلاق. فمن المهم الدعوة لتجديد الحداثة، أو إعادة بعثها، لا القفز عنها إلى ما بعدها. لأن الحداثة هي مجموعة من القيم والأفكار، أو بالأحرى منظومة متكاملة من الأفكار والقيم، التي تثبت نهجاً عقلانياً علمياً أخلاقياً على المستوى الاجتماعي العام. وتعرف الحداثة بالتالي: إنها نهج علمي عقلاني يمتاز بمجموعة من القواعد العامة التي تسهم بشكل كبير في تحديد الرؤية الحضارية للمجتمع الذي يقر بها.

وهذه النقاط المحورية هي: الإقرار بأن المعرفة غير ممكنة إلا من خلال طرفيها العقل والتجربة، وبالتالي فالمعرفة العلمية هي أساس العقلانية، وهذه المعرفة، إذا ما تم تأسيسها على الأسس العلمية المعتمدة، فإنها تكون معرفة صحيحة اليوم وغداً كما كانت كذلك بالأمس. وتنطلق أسس المعرفة العلمية من القبول بالسببية والقبول بأن محاكمة أفكارنا تنطلق من أن تكون هذه الأفكار مقبولة ليس فقط لعقلي أنا بل لكل عقل يحاكمها، بغض النظر عن قبولها أو رفضها. وترتبط الحداثة بتأكيدها على مفهوم الحقيقة وإمكانية الوصول إليها والتحقق منها من خلال الاعتماد على التحليل العلمي والمنهجية العلمية في التفكير، ولذلك فهذه الحقائق العلمية هي انعكاس لعالم موضوعي مستقل عن الذات العارفة. أما على صعيد الأخلاق فالحداثة تقر بوجود منظومة أخلاقية يمكن الاتفاق عليها بين البشر دون الحاجة لربطها مع الأوامر الألهية، وتشكل هذه المنظومة "الأخلاق المعيارية" بحسب كانط، أو "الأخلاق الاجتماعية" بحسب دوركايم . وتترافق هذه المفاهيم مع نهضة فنية وأدبية وموسيقية ضخمة.

وبالتالي فالحداثة لا تعني التحديث ولا تعني استخدام وسائل تكنولوجية متقدمة، وإنما تعني بنية معرفية متميزة يجب استيعابها كي نصل إلى الحداثة. ومن غير الممكن أن نقفز فوق التمرين المهم المتعلق بفهم الحداثة للقول أن هناك فكر

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

ما تجاوز فكر الحداثة وهو فكر ما بعد الحداثة. فالنقاش الذي دخل فيه الفكر الإنساني مهم ليتمكن أي كان من تقديم أفكار تنسجم مع النقاش الفكري الدائر اليوم في أروقة البحث العالمية.

وهذا التعريف للحداثة لا تكون له أية قيمة ما لم تتحول قيم الحداثة، من تقدير للعلم والبعد عن الميتافيزيقا والخزعبلات، ومن أن تكون قيما يلتزم بها لفيف من العلماء في مختبراتهم المعزولة عن المجتمع، إلى أن تكون قيما اجتماعية عامة يقر بها المجتمع بغالبية أفراده. فعندما يواجه هذا المجتمع ظاهرة أو معضلة لا يلجأ إلى إجابة غيبية مبنية على موروث ثقافي معطوب وناقص، بل يلجأ إلى البحث عن تفسير عقلاني علمي مبني على منهجية علمية نقدية تتناول هذه الظاهرة أو المعضلة بكل جوانبها وتبعاتها، فلا يتم توكيلها لقوى غيبية لا دخل لها ولا حول لها ولا قوة.

الحداثة: تفكيك المفهوم:

لنفكك هذا المفهوم. لقد جاءت الحداثة في الإطار الأوروبي لتنشر العقلانية والعلم في مجتمع كان منفصلاً بين جمود ديني يتمثل بمؤسسة الكنيسة، وبين جمهور عريض يؤمن بالخرافات والأساطير الشعبية. في تلك الحقبة كان الفكر الفلسفي يتطور باستقلال عن المؤسسة الدينية أو بتعارض معها في بعض الأحيان، وكان هذا الفكر الفلسفي هو الوريث الشرعي المباشر للفكر العربي-الإسلامي. فكان مجمل فلاسفة عصر الأنوار على احتكاك مباشر بالحركة الرشدية، ومن المسلم به اليوم أن معظمهم كان يتقن العربية (بالرغم من أنها كانت معروفة في أوروبا حينها بأنها لغة الشيطان)، ويقرأ الكتب التي وصلت إليهم من الأندلس. وفي الوقت عينه كان العلم يتطور ويتقدم بوتيرة قوية ويتحول ليكون مزوداً أساسياً لرأس المال الوليد. أدى هذا بالضرورة إلى تشكل واقع اقتصادي– اجتماعي جديد، تحولت به المدن إلى مراكز صناعية كبيرة، ونشأت بالتالي قوى طبقية جديدة متناقضة في مصالحها مع القوى المتحالفة مع الكنيسة من أقطاع وأسياد. هذه القوى الطبقية الجديدة، والمتمثلة بالبورجوازية الصناعية الناشئة، احتاجت كي تتمكن من السيطرة على السلطة أن تأخذ لنفسها فكراً يؤهلها لتصل.

وبما أن التطور العلمي والفلسفي في تلك اللحظة كان في حالة تناقض مع مؤسسة الكنيسة، فقد تبنت الطبقة الجديدة هذا التطور ودعمته بكل الوسائل. وكي تتمكن من السيطرة كان لا بد لها أن تنشر الفكر الجديد على نطاق واسع، فدعمت بكل الوسائل أساليب التواصل كي تمكن الفكر من الوصول إلى قطاعات واسعة من الجمهور، وبالتالي تمكنت من ركوب موجة التغيير وقيادة الجمهور نحو التحول والثورة.

لكنها وفي لحظة تمكنها من السلطة لم تعد ترغب في أن يستمر الفعل الحداثي ليكون موقفاً جماهيرياً كما كان في لحظة الثورة. فبدأت بتحويل مفاهيم الحداثة لتكون مجموعة من القوانين الثابتة التي فرضتها على المجتمع من دون أن تتمكن من إلغائها أو تغييبها. وبالتالي تمكنت من تحويل الحداثة إلى جسم جمودي حوّل الكثير من مفاهيمها من جوهرها الحداثي إلى نوع من المؤسسية الجديدة التي حلت مكان المؤسسية الكنسية التي كانت مسيطرة ما قبل الثورة.

ونظراً إلى أن الجانب المفيد من الحداثة للبورجوازية المسيطرة هو ذلك الجزء المرتبط بالتصنيع والانتاج والتقدم التقني، كان لا بد من ابتكار مصطلح يهتم بهذه الجزئيات ويترك سواها من المفاهيم المهمة للحداثة والتي تتمثل بسيادة العقل في الفضاء الاجتماعي والربط المتواصل بين التطور والفعل الاجتماعي. ولهذا السبب تم ابتكار مفهوم التحديث والذي هو بديل بورجوازي للحداثة يهتم فقط بالعملية الانتاجية والربحية، أو كما يقول هابرماس: "ويشير مفهوم التحديث إلى سيرورات تراكمية يشد بعضها بعضاً. فهو يعني بناء تحديث الموارد وتحويلها إلى رؤوس أموال، ونمو القوى الإنتاجية، وزيادة إنتاجية العمل، كما يشير إلى إنشاء سلطات السياسة المركزية وتشكل هويات قومية، ويشير أيضاً إلى نشر حقوق المشاركة السياسية وأشكال العيش المدني والتعليم العام، وأخيراً يشير إلى علمنة القيم والمعايير" . وجملة المفاهيم هذه هي التي ما زالت تسيطر على أفق التطور السياسي والاجتماعي كما يراد إشاعتها اليوم من القوى البورجوازية العالمية. ولكن هذه المفاهيم في جوهرها تشيع أيضاً الرغبة في الانفصال عن العقل والعقلانية التي تفرضها الحداثة، وهي لذلك كانت المعين الأساسي الذي انتشرت من خلاله مفاهيم ما بعد الحداثة .

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

وهذه بالضبط المعضلة التي دخلها المجتمع الحديث والمتمثلة في جملة من الأزمات بينه وبين العلم والمعرفة العلمية وبالأخص في الدول الغربية، مما أدى إلى ظهور تيارات ترفض العلم وقدرة العلم، وتدعي أن المعضلة في مشاكل العالم تستند إلى الأنظمة الشمولية بكل تفرعاتها، وواحد من هذه التفرعات هو شمولية العلم والنزعة المطلقة إلى التعميم في النظريات العلمية. وبالتالي كان من هؤلاء الأفراد أن رفضوا حتى شمولية العلم. فكان الهم الأساسي لهم هو التفكيك ونكران الحقيقة. وهذا ما يدافع عنه فكر ما بعد الحداثة.

الحداثة والتحديث:

الهدف الأساسي من التحول من مفهوم الحداثة إلى مفهوم التحديث هو، إذن، التركيز على ما هو مفيد ونافع لرأس المال ونبذ كل ما في طياته بذور زيادة الوعي لدى الجمهور ليتمكن من الاستمرار في فعل الحداثة والتحول بالمجتمع إلى سيروراته الأخيرة التي يتمكن فيها من التحول إلى مجتمع عقلاني يتمكن من التخلص من معوقات الرخاء السائدة اليوم. فالعقلانية لا تقبل تشيؤ الإنسان وتحويله إلى سلعة، ولا تقبل صرف ترليونات من الدولارات على الحروب، بهدف بقاء الرخاء نعمة لطبقة محددة أو مجموعات بشرية محددة، بينما يمكن أن يعم الرخاء كل البشر لو صرف ربع هذه المبالغ على ضمان التطور المتكافئ للعالم.

لقد أدرك ماركس، كما يقول لنا هابرماس، خطورة الفصل بين الإنتاجية ومفاهيم الحداثة، وأدرك أنه فقط بدمج النظري مع العملي يمكن أن تتحول مفاهيم الحداثة لتكون فعلاً يومياً اجتماعياً. فبذلك فقط يمكن للفرد أن يتحول إلى فرد يعيش في مملكة حريته، متحرراً من قيود عبودية العمل لرأس المال، ومتمكناً من أن يكون في الوقت عينه مفكراً وعاملاً منتجاً. فيقول لنا ماركس أنه في مملكة الحرية المتمثلة بالمجتمع الحداثي الأمثل من وجهة نظره، المجتمع الشيوعي، يمكن للإنسان أن يكون عاملاً في الصباح، صياداً بعد الظهر وفيلسوفاً في المساء.

سيطرة مفهوم التحديث اليوم يعيدنا إلى المربع الأول، فالمجتمع اليوم يشوبه التفكيك والنزعات الذاتية والنزعة الاستهلاكية والحروب والعنف المجتمعي وتشيؤ الإنسان. وكل هذا الحديث الذي يحاول التحديث أن يدعيه من أنه ضرورة للتطور المجتمعي من حقوق إنسان وديمقراطية وسيطرة لمفاهيم العولمة وسيادة الإنتاجية على مفاهيم التطور، إنما هي مجموعة من المقولات المفرغة ما لم تتملك العقلانية زمام الفعل الاجتماعي. فما معنى مثلاً عبارة "الدفاع عن الديمقراطية والحرية" التي يدعيها الغرب عندما يكون هذا "الدفاع" من خلال الاحتلال؟ فهل حرية إنسان هي المبرر لاحتلال بلد آخر؟ وماذا عن حرية البلد الآخر؟ أليست هذه أيضاً حرية؟ وماذا عن "الديمقراطية"؟ هل فعلاً هناك دفاع عن الديمقراطية؟ وأي ديمقراطية هي تلك التي يتم الدفاع عنها، عندما لا يكون ممكناً للكثير من الشعوب وباسم "الدفاع عن الديمقراطية" الحق في أن يكونوا أحراراً في بلادهم، ولا يكون لهم الحق في الاختيار الحر لمن يحكمهم لأنه ونظراً لضرورة "الدفاع عن الديمقراطية" يجب على "القوى المدافعة عن الديمقراطية" أن تقبل بمجموعة من الدكتاتوريات التابعة لها هنا وهناك؟

وكي لا يقال أن هذا المثال هو مثال سياسي من شخص لا يرى أهمية "الدفاع عن الديمقراطية والحرية" كما يفهمها هؤلاء "المدافعون" أقدم هنا مثالاً آخر حول حقوق الإنسان من داخل هذه المجتمعات التي تقول عن نفسها بأنها واحات "الحرية والديمقراطية". فنجد أن الشكل الفني والأدبي المسيطر لتسويق المنتجات الرأسمالية يأخذ أشكالاً وضيعة تحرك في الإنسان أكثر نقاط ضعفه، وتحوله إلى سلعة رخيصة. فالكثير من هذه العمليات التسويقية والإعلانية

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

تستخدم المرأة كشيء تسويقي ويحولها في الوقت عينه كسلعة موضوعة على لوحة إعلانات أو على صفحات المجلات والصحف.

فهل هذا هو الترجمة لحقوق المرأة في منظور «المدافعين عن الحرية والديمقراطية»؟

هنا لا بد من التعريج إلى أن أدراك مآلات السيطرة الرأسمالية على فضاء الفكر اليومي قد كانت مثار بحث وتحليل من قبل الكثير من رواد مدرسة فرانكفورت. ففي كتابهم الأهم «جدل التنوير» ، الصادر لأول مرة عام 1947، يقابل أدرنو وهوركايمر المظاهر الأيجابية للتنوير مع مآلات المجتمعات في القرن العشرين وما نتج عن التحديث كمنتج تنويري من مظاهر سلبية، أو كما يقولون: سمات تدمير التنوير لنفسه . ويستمر ماركوز في عرض هذه المظاهر في تطورها من خلال كتابه الأشهر «الإنسان ذو البعد الواحد» ، والذي صدر عام 1962. فإذا كان رواد مدرسة فرانكفورت أرادوا انتقاد «العقل الأداتي» الذي حكم مرحلة «سطوة العلم» فإنهم غفلوا، كما غفل هابرماس عن قضية أعتقد أنها مهمة وجوهرية في معالجة قضية الحداثة والتنوير. وهذه القضية تتمثل في أنه وعلى الرغم من أن أنماط الإنتاج، بحسب الفهم الماركسي، تنتج الفكر المرافق لها، إلا أن الأفكار التي هي منتجات أنماط الإنتاج السابقة لا تضمحل كما تضمحل تلك الأنماط.

وفي الواقع فإن الأفكار الموروثة من مختلف مراحل التاريخ الإنساني تبقى محملة على التراث المعرفي للفرد وللمجتمع على حد سواء . ولكن ما تجدر ملاحظته أن التلاقح بين الأفكار القديمة ونمط الإنتاج الجديد وما ينتجه من أفكار ومنتجات معرفية وتكنولوجية، يؤدي إلى إعادة إنتاج أو إعادة تشكيل للأفكار والمعارف الموروثة بشكل وبحلة جديدة ناتجة عن هذا التلاقح بين القديم والجديد. وإذا أتفقنا على ما قلناه سابقاً من أن القوى المهيمنة على المستوى السياسي، أي الطبقة البورجوازية المهيمنة، تحاول اليوم أن تحصر التنوير ومتطلباته بما يرتبط بالعملية الربحية والانتاجية. يصبح من نافل القول أن هذه القوى ستحاول أن توظف الأفكار الموروثة التي قد تساعدها على تحقيق تأبيد سيطرتها وهيمنتها.

الحداثة لا يمكن أن تسيطر إلا من خلال الفعل الاجتماعي المنظم. من خلال العقلانية الفاعلة اجتماعياً، فالهدف ليس أن نفهم العالم كما هو، إنما الهدف أن نكون قادرين على تغييره لصالح الإنسانية جمعاء، لا لصالح فئة مسيطرة مستغلة جشعة تأكل الأخضر واليابس في طريقها كما تفرضها علينا مفاهيم التحديث. ولكننا اليوم بحاجة لأن نعي القوى الاجتماعية والروافع الاجتماعية المؤثرة. فالعالم اليوم غير ذلك الذي انتشرت به مفاهيم الحداثة لأول مرة، فبينما كانت القوى الاتصالية المسيطرة على الفضاء اليومي هي قوى تحاول أن تنشر الحداثة بكل قوتها، لأنها بذلك تحطم حصون القوى السياسية المسيطرة حينها. فإن القوى الاتصالية اليوم، وعلى الرغم من الثورات الهائلة التي حققتها بثورتي المعلومات والاتصالات، هي قوى تحاول أن تحارب مفاهيم الحداثة لتثبت مكانها مفاهيم التحديث.

امتلاك القدرة التواصلية وتحويل فضاء الاتصال إلى فضاء عقلاني مؤثر على الفعل الاجتماعي هو الخطوة المهمة الأولى نحو نشر فكر ومفاهيم الحداثة مرة أخرى. ولا بد من أن نتجاوز اليوم ما لم تتمكن قوى الحداثة سابقاً من تجاوزه، أي توضيح العلاقة بين الإنسان والمعرفة، فمن دون هذا البعد المعرفي لن تتمكن العقلانية من أن تنتشر، فالمعرفة السائدة اليوم على فضاء الفكر اليومي هي معرفة لا عقلانية ولا علمية.

لا يمكن للبشرية أن تخرج من حالة الفوضى التي تعيشها اليوم بغير العودة لإتمام مشروع الحداثة. فالجنون الذي يؤدي بنا لتحطيم كوكبنا ولزيادة الفجوة الكبيرة أصلاً بين الأغنياء الذين يعيشون في الرخاء وباقي العالم إنما سيؤدي ليس فقط إلى ما نراه اليوم من فوضى وعنف ودمار، بل أيضاً وبالضرورة إلى فقدان الإنسان لإنسانيته. الحداثة هي المخرج الوحيد نحو الإنسانية.

هيجل، جورج فلهم، العقل في التاريخ: المجلد الأول من محاضرات في فلسفة التاريخ، ت: أمام عبد الفتاح أمام، دار التنوير، ط3، بيروت 2007.

Weber, Max, The Protestant Ethics and the Spirit of Capitalism, Tr.: T. Parsons, Charles Scribner's Sons, New York, 1950.

هابرماس، يورغن، القول الفلسفي للحداثة، ت: فاطمة الجيوسي، وزارة الثقافة السورية، دمشق 1995.

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

جدعان، فهمي، «نحن والحداثة»، ورقة غير منشورة، من المؤلف، قدمت الورقة في الكويت، في الموسم الثقافي لدار الآثار الأسلامية في 14 أيار 2012.

يشبه البعض ذلك أحياناً بما حدث في أفريقيا ... فبالرغم من أن الكثير من المناطق لم تحصل على شبكة اتصال هاتفي تقليدية إلا أنها قفزت فوراً إلى الحصول على هواتف نقالة.... أي أنها «حرقة المراحل» .. ولكن الحديث عن التقانة والتحديث شيء والحديث عن الحداثة بوصفها حالة من التطور المعرفي ومن تطور الذهنية شيء آخر.

كانت، أمانويل، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ت: عبد الغفار ملكاوي، الدار القومية، القاهرة 1965.

Durkheim, Emile, Ethics and the sociology of Morals, Tr.: Robert Hall, Great Minds Series, Prometheus Books, New York 1993

القول الفلسفي للحداثة، ص 9.

من أهم ممثلي ما بعد الحداثة هم جان فرانسوا ليوتار وريتشارد رورتي، أنظر على سبيل المثال:

- ليوتار، جان فرانسوا، في معنى ما بعد الحداثة، ت: السعيد لبيب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2016.

- رورتي، ريتشارد، الفلسفة ومرآة الطبيعة، ت: حيدر حاج أسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت 2009.

Lyotard, Jean-Francois, The Postmodern Condition, Tr.: Geoff Bennington & Brain Massumi, Manchester University Press, Man- - chester 1984

هوركايمر، ماكس، وثيودور أدرنو، جدل التنوير، ت: جورج كتورة، دار الكتاب الجديد، بيروت 2006.

جدل التنوير، ص 14.

ماركوز، هربارت، الإنسان ذو البعد الواحد، ت: جورج طرابيشي، دار الآداب، ط 3، بيروت 1988.

هذا ما أوضحه بجلاء مارتن هايدجر في كتابه الكينونة والزمان: أنظر هايدجر، مارتن، الكينونة والزمان، ت: فتحي المسكيني، الكتاب الجديد، بيروت 2012.

الصفحة الثقافية: الحرب على سورية وسقوط الشخصيات العامة

طالب جميل

بعد الأحداث التي جرت في مصر، تونس وليبيا مع بداية عام 2011 التبس الأمر على كثيرٍ من الناس، واختلطت الأمور لدرجة أصبح فيها الفصل بين الثورة المنبثقة عن دوافع معيشية للرغبة في التغيير وصناعة مستقبل أفضل وبين تعرض بعض البلدان لمؤامرات كبرى خاصة وأن الجميع يعلم أن كل الأقطار العربية مستهدفة بشكل أو بآخر، لا سيما المركزية منها، لذلك ضاعت البوصلة وتاه الكثير من الناس، ولم يستطع الكثير منهم التقاط فكرة المؤامرة خاصة بعدما انقشعت الغمامة عند بداية الأحداث في ليبيا، ومع ذلك أصر الكثيرون عند بداية الأحداث في سورية أن يفسر ذلك بأنه ربيع قادم وثورة من أجل الحرية والديمقراطية.

لم يكن ما حدث في سورية خلال السنوات المنصرمة حرباً طاحنة أدت إلى سقوط مئات الآف من الضحايا وإلى تدمير البنية التحتية فحسب، بل كانت اختباراً حقيقياً ومحاكمة علنية لضمائر وأخلاقيات الكثير من المشاهير بما فيهم الفنانين والإعلاميين كشخصيات عامة لها تأثيرٌ واسعٌ على المجتمع، لكن هذا الاختبار فشلت فيه الكثير من الشخصيات وسقطوا سقوطاً أخلاقياً مدوياً وإن حاول بعضهم تبرير هذا السقوط بأنه موقف انساني ضد الدكتاتورية والاستبداد -على حد تعبيرهم- الا أنه كان فضيحة لا تُبرر بأي شكل من الأشكال.

ولم تكن المسألة مجرد اصطفاف إلى جانب نظام أو حزب حاكم بقدر ما كانت موقفاً مع الدولة ومؤسساتها وجيشها ومع الحفاظ على وحدتها ومنع تقسيمها ورفض المؤامرة الدولية التي قادتها قوى الإمبريالية والرجعية العربية بالتعاون مع الأتراك والصهاينة.

خلال سنوات الحرب على سورية، وخاصة في سنواتها الأولى، برزت ظاهرة الانشقاق عن الدولة أو الجيش أو المؤسسات الوطنية والإعلان عن الانضمام إلى جماعات أخرى تحارب الدولة السورية وكان يحدث ذلك في الغالب خارج الأراضي السورية وفي بعض العواصم العربية وعبر الفضائيات ووسائل الإعلام، وكان خطاب الانشقاق عادةً يحمل في طياته كثيراً من النقمة على الدولة السورية وجيشها ونظامها والرغبة بالاستنجاد ببعض القوى الخارجية وطلب المساعدة منها للحماية والدعم والمساعدة، وهذه الظاهرة شملت مواطنين سوريين كانوا منخرطين في السلك العسكري، وبعضهم كان في وظيفة أو منصب حكومي رفيع، إضافةً إلى بعض الشخصيات العامة والمشاهير من فنانين وإعلاميين ورياضيين.

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

لم يكن مستغرباً انشقاق وهروب بعض الشخصيات العامة التي لم تكن بالأساس ذات قيمة مؤثرة في المجتمع السوري، وبعض الشخصيات التي تحمل بالأساس موقفاً ملتبساً من الدولة والنظام منذ سنوات ما قبل الأزمة، ولا بعض الشخصيات التي لا قيمة لها داخل أو خارج سورية، بل كانت الكارثة أن تتحول بعض الشخصيات العامة التي كانت تستفيد من الدولة والنظام إلى بوقٍ للقوى الخارجية المعادية للدولة السورية وتساهم بشكلٍ مؤثرٍ في حملة التحريض عليها.

غرقت الكثير من هذه الشخصيات العامة في موجة الانشقاقات لدوافع عدة، فبعضهم كان يحمل موقفاً مسبقاً من الدولة في سورية وربما سبق وأن تعرض للمضايقات أو السجن، وبعضهم استغل موجة المواقف المدفوعة الثمن من قِبل بعض الدول المعنية بتدمير سورية وتقسيمها وخرابها كالدول النفطية المنزوية في خندق الرجعية العربية مثل (قطر، السعودية)، فيما وجد فريقٌ منهم الفرصة مواتية لاكتساب مزيدٍ من الجماهيرية والشعبية عبر الإعلام المجيش عبر اتخاذ موقفٍ معادٍ للدولة السورية ومؤيدٍ لما يسمى بالثورة، والبعض تعرض لإغراءات مالية لتحسين وضعه المعيشي مثل الإقامة في بعض الدول الخليجية والأوروبية.

في هذا المجال يمكن الحديث عن بعض الفنانين العرب والسوريين الذين طرحوا أنفسهم منذ بداية تاريخهم الفني كفنانين ملتزمين بقضايا الوطن والأمة ووعُرف عنهم اقترابهم من هموم الفقراء والكادحين والحالمين بحياة أجمل، وضمن هذا السياق يمكن ذكر المغني السوري ابن الجولان المحتل (سميح شقير) والذي كان لسورية الدولة والشعب الفضل الكبير عليه، وهو الفنان الذي كان يغني للوطن ويفتخر بالمقاومة ويغني للشهداء حيث سقط منذ الوهلة الأولى فتنكر لبلده وللدولة التي تدعم المقاومة في لبنان وفلسطين وتحمي فصائلها في سورية، فانجرف خلف الدعاية الإعلامية التي قادتها قنوات الفتنة وفبركات الأحداث التي ثبت لاحقاً عدم مصداقيتها وأنها صنعت لغاية محددة، ولا يزال (سميح شقير) يقيم في فرنسا ويتنقل بين الدول التي قادت المؤامرة ضد بلده ويجري المقابلات ويغني عبر الفضائيات التابعة لتلك الدول.

وعند الحديث عن الغناء الملتزم لا بد من ذكر موقف المغني والموسيقي اللبناني (مارسيل خليفة) والذي كان يحمل تاريخاً طويلاً ومهماً في مجال الغناء الملتزم، حيث اتخذ موقفاً مشابهاً لموقف (سميح شقير)، وأعلن وقوفه إلى جانب ما يسمى بالثورة في سورية من خلال قيادته لتظاهرة شعبية مؤيدة لمسار "الربيع العربي" المشبوه، وبالتالي انقطعت علاقته بسورية نتيجة هذا الموقف، ونتيجةً لمثل هذه المواقف المشبوهة له تم تكريمه من قبل إحدى الدول الاستعمارية (فرنسا) في مبنى السفارة الفرنسية في لبنان خلال عام 2018 ومنحه وساماً.

أما بعض الأسماء الفنية الأخرى مثل (جمال سليمان، أصالة نصري، سامر المصري) فمواقفهم لا يمكن وصفها إلا بأنها مواقف انتهازية مشبوهة لا أخلاقية مبنية على نكران الجميل وتفوح منها رائحة التواطؤ مع القوى الرجعية التي تآمرت على سورية، مقابل ظهورٍ رخيصٍ على بعض الفضائيات العميلة واستعراض لفظي حول مبادئ الثورة والتعاطف مع من كانوا يموتون بسبب الأحداث ورفض الظلم والاستبداد والديكتاتورية -على حد تعبيرهم- الذي يمارسه نفس النظام الذي ساعدهم وساهم في وصولهم إلى ما وصلوا إليه من مجد وشهرة، بل أن فنانة مثل (أصالة نصري) سبق وأن عولجت في صغرها من مرضٍ صعبٍ على حساب الدولة السورية، والأمر وصل بفنانٍ مثل (جمال سليمان) أن ينضم إلى ما يسمى بالائتلاف المعارض الذي ترعاه بعض الدول المتآمرة ويأتمر بأمرها.

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

وهنالك عددٌ لا بأس به من الفنانين والإعلاميين السوريين تحديداً الذي تعاملوا مع بلدهم كفندق كان يقدم خدمة جيدة وعندما ساء مستوى الخدمة تركوا الفندق بحثاً عن فندق يقدم خدمة أفضل، ولم يخجلوا من رفع علم الانتداب الفرنسي في كثير من المحافل وفي عدة دول، وضمن هذا السياق يمكن ذكر أسماء كثيرة مثل (فارس الحلو، يارا صبري، عبد الحكيم قطيفان، جهاد عبدو، مكسيم خليل، سوسن أرشيد، عزة البحرة، عامر السبيعي، محمد آل رشي، ورسام الكاركاتير علي فرزات) إضافة إلى (مي سكاف) التي توفيت مؤخراً في فرنسا وهي تنتظر انتصار الثورة اللقيطة المشبوهة.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هناك عدد من الفنانين والمشاهير قد خرجوا من سورية نتيجة تردي الوضع الأمني وسوء الأوضاع المعيشية وصعوبة العمل وسيطرة بعض التنظيمات الإرهابية على كثير من المناطق، لكنهم لم ينقضوا على بلدهم ولم يرتموا في أحضان من تآمروا على بلدهم، ولم يدعوا القوى الدولية لقصف بلدهم بحجة "إسقاط النظام" فيها.

كشفت الحرب على سورية حالات الزيف لدى الكثير من المشاهير الذين كانوا يدّعون الوطنية والانتماء ويؤمنون بالمقاومة، وكشفت قدرتهم على التلاعب وتغيير المواقف والتلون والبحث عن المصلحة الشخصية على حساب الوطن، لكن ذلك لم يمنع سورية من النهوض والبقاء والاستمرار والانتصار بفضل سواعد ومواقف الكثير من أبنائها الشرفاء.

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

قصيدة العدد:

مفاتيح المستقبل/ محمد مهدي الجواهري

سلامٌ على حاقدٍ ثائر ... على لاحبٍ من دمٍ سائرِ

يخبُّ ويعلمُ أنَّ الطَّريق ... لا بُدَّ مفضٍ إلى آخرِ

كأنَّ بقايا دم السابقين ... ماضٍ يمهَّدُ للحاضرِ

كأنَّ رميمَهُمُ أنجمٌ ... تُسدِّدُ من زللِ العاثرِ

وليسَ على خاشعٍ خانعٍ ... مُقيم على ذُلِّه صابرِ

سلامٌ على جاعلين الحتوفَ ... جسراً إلى الموكبِ العابرِ

سلامٌ على نبعةِ الصامدين ... تعاصَتْ على مِعْول الكاسرِ

وليسَ على غُصُنٍ ناعم ... رشيقٍ يميلُ مع الهاصرِ

سلامٌ على مُثقلٍ بالحديدِ ... ويشمخ كالقائدِ الظافرِ

كأنَّ القيودَ على معصميه ... مفاتيحُ مُستقبل زاهرِ

قصيدة /مفاتيح المستقبل/ للشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري، المولود في النجف /1899/، والراقد في دمشق /1997/ حيث كتب على قبره (يرقد هنا بعيداً عن دجلة الخير)، عاش حياته مناضلاً وشاعراً فذاً، معروفةً عنه ميوله السياسية اليسارية.

العدد رقم (57) صدر في 1 شباط عام 2019 للميلاد

كاريكاتور العدد

انتهى العدد